

جامعــة الأزهــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد





وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم؛ وأثرها الدعوي على المجتمع.

إعداد

د/ علاء السيد حسين السيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ- يونيو ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي I.S.S.N ٤٦٦٠-٢٩٧٤ و The Online ISSN ٢٩٧٤-٤٦٧٩



وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم؛ وأثرها الدعوي على المجتمع.

علاء السيد حسين السيد .
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بأسيوط، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الالكتروني: a٠١١٤٣١٨٧٦١٢@gmail.com

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراســـة وهي بعنوان: (وســـائل حفظ الدين في ضـــوء القرآن الكريم؛ وأثرها الدعوي على المجتمع) بيان الوســـائل التي من خلالها يســـتطيع المسلم أن يحافظ على دينه من الخلل ، سـواء أكان ذلك في فهم نصـوصـه، أم في تطبيقها، أم في دعوة الغير إلى الامتثال بما تأمر به والازدجار عن المنهيات؛ وما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي تحذر من الوقوع في الكبائر نجد الكثير من الآيات التي تنفر من الشـرك، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وغيرها من الكبائر، وما لها من أثرٍ كبيرٍ في صلاح الفرد وبالتالي صلاح المجتمع ، فإن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على الدين .

ولما كان حفظ الدين أول مقاصد الشريعة ؛ إذ به صلاح حاله في الدنيا ونجاته في الآخرة ، وكانت مراعاة ما بعده من المقاصد ؛ ناتجة عن التمسك به، فقد آثرت أن أسلط الضوء في بحثي هذا على الوسائل التي تضمنها المصدر الأول للتشريع وهو القرآن الكريم ؛ والتي من خلالها يحفظ المسلم دينه ، وبيان أثر ذلك على المجتمع؛ في بحث يكون عنوانه: وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم؛ وأثرها الدعوي على المجتمع. وسوف أتناول تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في تمهيد ومبحثين وخاتمة :

التمهيد: وفيه التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث .

المبحث الأول : وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني : الأثر الدعوي لحفظ الدين على الفرد والمجتمع .

الخاتمة : وبها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: وسائل ـ حفظ الدين ـ القرآن الكريم ـ الأثر ـ المجتمع .

Means of preserving religion in light of the Holy Qur’an; And its advocacy impact on society.

Alaa Al-Sayyid Hussein Al-Sayyed.
Department of Islamic Call and Culture, Faculty of Fundamentals of Religion, Assiut, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email :a٠١١٤٣١٨٧٦١٢@gmail.com

Abstract:

This study, entitled (Means of Preserving Religion in Light of the Holy Qur’an; and Its Proselytizing Impact on Society), deals with an explanation of the means through which a Muslim can preserve his religion from defect, whether that is in understanding its texts, applying them, or calling on others to comply. What you command and refraining from what is forbidden, and the verses mentioned in the Holy Qur’an that warn against falling into major sins, we find many verses that discourage polytheism, false speech, consuming an orphan’s wealth, and other major sins, and they have a great impact on the well-being of the individual and thus
The well-being of society, the interests of religion and this world are based on preserving religion
Since preserving religion is the first goal of Sharia law; Because of it, his condition in this world will be improved and he will be saved in the afterlife, and it was
Taking into account the following objectives; Aside from adhering to it, I have chosen to shed light in this research on the methods included in the first source of A. It is the Holy Qur’an; Through which the Muslim preserves his religion, and the effect is explained



This is upon society in a study entitled Means of Preserving Religion in the Light of the Holy Qur'an and Its Proselytizing Impact on
the society. I will discuss this in detail, God willing, in an introduction, two sections, and a conclusion:

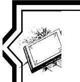
The introduction includes a definition of the terms mentioned in the title of the research.

The first topic: Means of preserving religion in light of the Holy Qur'an.

The second topic: The advocacy impact of preserving religion on the individual and society

Conclusion: It contains the most important results and recommendations.

Keywords: Methods. Preserving religion - The Holy Quran - impact - Society.



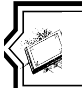
مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ فإن للشريعة الإسلامية أهدافاً عامة تسعى إلى تحقيقها في حياة الناس؛ وهي: " المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع؛ أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا: أوصاف الشريعة، وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضًا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها " [(١)]، ولها أهداف خاصة تقصد من خلال ما جاءت به من تشريعات إلى تحقيقها، قال الغزالي رحمه الله: "إن مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة" [(٢)]؛ وقد شرع لتحقيق كل مقصد من هذه المقاصد حكم خاص، فقد ذكر القرافي: أن خمسا أجمعت الأمم مع الأمة المحمدية عليها، وهي وجوب حفظ النفوس فيحرم القتل بإجماع الشرائع، ويجب فيه القصاص، ووجوب حفظ العقول فتحرم المسكرات بإجماع الشرائع، ويجب فيها الحد، وإنما اختلفت في شرب القدر الذي لا يسكر فحرم في هذه الملة تحريم

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص ٤٩، طبعة: دار سحنون للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الثانية، سنة: ٢٠٠٧م).

(٢) المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ص ١٧٤، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.



الوسائل، وسد الذريعة بتناول القدر المسكر، وأبيح في غيرها من الشرائع لعدم المفسدة فيه، ووجوب حفظ الأعراض فيحرم القذف، وسائر السباب، ويجب في ذلك الحد أو التعذير، ووجوب حفظ الأنساب فيحرم الزنا في جميع الشرائع، ويجب فيه إما الرجم أو الحد، ووجوب حفظ الأموال في جميع الشرائع فتحرم السرقة، ويجب فيها القطع أو التعزير، وكذا نحوها اهـ بزيادة من محلى جمع الجوامع، وزاد في جمع الجوامع سادسا، وهو وجوب حفظ الدين المشروع له قتل الكفار، وعقوبة الداعين إلى البدع (١).

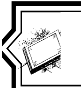
وقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الوسائل التي تمكن المسلم من حفظ هذه المقاصد، ولما كان من الواجب على كل مسلم أن يراعي هذه المقاصد فقد وجب عليه أن يتعلم هذه الوسائل وأن يعلمها لأبناء مجتمعه، قياماً بحقهم عليه في تبصيرهم بما يحفظ عليهم دينهم؛ صيانة لهم ولمجتمعاتهم، حتى تعلو القيم الإسلامية في المجتمع، ويتحقق مقصود الشرع من الخلق.

ولما كان حفظ الدين أول مقاصد الشريعة(٢)؛ إذ به صلاح حاله في الدنيا ونجاته في الآخرة، وكانت مراعاة ما بعده من المقاصد؛ ناتجة عن التمسك

---

(١) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، ج ٤، ص ٨١، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) المقاصد: جمع مقصد، والمقصد: مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصدًا، وعليه فإن المقصد له معان لغوية كثيرة منها: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدا، فهو قاصد، قال تعالى: ﴿ ﴾ (سورة النحل، الآية رقم: ٩) أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها جائر أي ومنها طريق غير قاصد. وطريق قاصد: سهل مستقيم. وسفر قاصد: سهل قريب، والقصد: العدل، والقصد: الوسط بين الطرفين، والقصد: الاعتماد والأم. قصده يقصده قصدا، وقصد
=

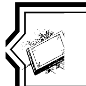


به، فقد آثرت أن أسلط الضوء في بحثي هذا على الوسائل التي تضمنها المصدر الأول للتشـريع وهو القرآن الكريم؛ والتي من خلالها يحفظ المسـلم دينه، وبيان أثر ذلك على المجتمع؛ في بحث يكون عنوانه: وســائل حفظ الدين في ضــوء القرآن الكريم؛ وأثرها الدعوي على المجتمع.

له، وأقصدني إليه الأمر، وهو قصدك، وقصدك أي تجاهك، وكونه اسما أكثر في كلامهم. والقصد: إتيان الشيء. تقول: قصدته وقصدت له وقصدت إليه بمعنى. وقد قصدت قصادة والقصد: التوسط وعدم الإفراط والتفريط قال تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨﭼ (سورة لقمان، الآية رقم: ١٩). (انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـــ)، ج ١، ص ٦٦، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشـــر: دار الهداية، وانظر لســان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣).

والشـــريعة تُطلقَ في اللغة على مورد الماء ومنبعه ومصـــدره، كما تُطلق على الدين والملة والطريقة والمنهاج والسـنة، والشـريعة والشـرع والشـرِّعْة بمعنى واحد والشـرع: نهج الطريق الواضـــح واســتعير للطريقة الإلهية بين الدين... والشـــريعة: الائتمار بالتزام العبودية، وعند القوم: التزام العبودية بنسـبة الفعل إليك. (التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ص ٢٠٣، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

وقال أبو هلال العسكري: الشريعة هي الطريقة المأخوذ فيها إلى الشيء ومن ثم سمي الطريق إلى الماء شريعة ومشرعة وقيل الشارع لكثرة الأخذ فيه والدين ما يطاع به المعبود ولكل واحد منا دين وليس لك واحد منا شريعة والشريعة في هذا المعنى نظير الملة إلا أنها تفيد ما يفيده الطريق المأخوذ ما لا تفيده الملة ويقال شرع في الدين شريعة كما يقال طرق فيه طريقا والملة تفيد استمرار أهلها عليها. (الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـــ)، ص ٢٢٢، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سـليم، الناشـر: دار العلم والثقافة للنشـر والتوزيع، القاهرة – مصر).



أسباب اختيار الموضوع

مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع بعد توفيق الله تعالى ما يلي:

١ _ أهمية حفظ الدين وما يتنج عن حفظه من أثر في المجتمع؛ حيث إن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليه.

٢ _ تضـــمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبين وســـائل حفظ الدين؛ فإننا حين نتلمّس وســائل حفظ هذا المقصــد العظيم في المصــدر الأول للتشــريع فسـنجد ما يسـعفنا كثيراً، إذ اسـتخرج العلماء من القرآن الكثير من النصـوص التي استنبط أمر المسلم بحفظ الدين بناء على النظر فيها.

أهداف الموضوع.

يهدف الموضـوع إلى بيان الوسـائل التي من خلالها يسـتطيع المسـلم أن يحافظ على دينه من الخلل، سواء أكان ذلك في فهم نصـوصـه، أم في تطبيقها، أم في دعوة الغير إلى الامتثال بما تأمر به والازدجار عن المنهيات، فإن لذلك أثراً كبيراً في صلاح الفرد وبالتالي صلاح المجتمع.

حدود الدراسة.

تقتصـر الدراسـة على بيان وسـائل حفظ الدين من خلال ما ورد في القرآن الكريم دون بقية المقاصد (حفظ النفس والنسل أو العرض والعقل والمال)

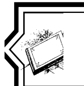
تساؤلات البحث.

يجيب البحث عن التساؤلات التالية:

ما هي الوسائل التي تضمنها القرآن الكريم لحفظ الدين؟

وما هو الأثر الذي سيعود على المسلم في الدنيا والآخرة من حفظه لدينه؟

وهل يعود على المجتمع أثر من صيانة المسلم لدينه والتزامه بأوامره ونواهيه؟



وسوف يجيب البحث عن هذه التساؤلات جميعها.

منهج البحث.

سأتبع في بحثي هذا المنهج الاستقرائي الذي يعرف بأنه: عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية [(١)]، أي أنه منهج قائم على تتبع الجزئيات للوصول إِلَى نتيجة كُلية [(٢)]، ويهدف الاستقراء إلى تكوين حكم عامّ مبنيّ على حقائق جزئيَّة [(٣)]، وسوف أستخدم أيضا المنهج الوصفي الموسوم بأنه: " أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"[(٤)]، فمثلاً بالنظر إلى ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي تحذر من الوقوع في الكبائر نجد الكثير من الآيات التي تنفر من الشرك، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وغيرها من الكبائر؛ كل ذلك يقوم شاهدا على اشتمال القرآن الكريم على التحذير من الكبائر كوسيلة من وسائل حفظ الدين الذي هو أول مقصد من مقاصد الشريعة، كما سيأتي في ثنايا البحث، وهي حقائق

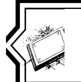
---

(١) مناهج البحث العلمي، محمد سرحان علي المحمودي، ص ٧٣، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤٤١ ه _ ٢٠١٩ م.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ج٢، ص ٧٢٢، الناشر: دار الدعوة.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ج ٣، ص ١٨٠٨، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٤) البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، ص ١٨٣، الناشر: دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-دار الفكر-دمشق-سورية، الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ- أيلول سبتمبر ٢٠٠٠م.



جزئية توصلنا إلى نتيجة كلية وحكم عام؛ بأن القرآن الكريم اشتمل على الكثير من الوسائل التي من شأنها أن تعمل على حفظ الدين، والتي لها أثر بالغ في إصلاح الفرد والمجتمع.

خطوات السير في البحث.

سأقوم بعون الله . تعالى . في بحثي هذا بالآتي:

١ – استقراء الآيات القرآنية للوقوف على الآيات التي تتحدث عن حفظ الدين.

٢- استخراج وسائل حفظ الدين من الآيات، وبيان كيفية استفادة الدعاة إلى الله تعالى منها.

٣ – بيان الأثر الذي يحدثه حفظ الدين في المجتمع.

٤ - عزو الآيات القرآنية الى سورها مع ذكر رقم الآية.

٥ - تخريج الأحاديث والآثار التي يرد ذكرها في البحث، وبيان من أخرج الحديث أو الأثر بلفظه الوارد في البحث، أو بمعناه إن لم أجد لفظه، وذلك بالإحالة على مصدر الحديث أو الأثر، وذكر الكتاب ثم الباب ثم رقم الجزء ثم رقم الصفحة ثم رقم الحديث أو الأثر.

٦ – إن كان الحديث أو الأثر مذكورا فى الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بعزوه إلى مكانه، على النحو المتقدم، وإن لم يكن فيهما أُخرِّجه من المصادر الأخرى مع ذكر حكم أهل الحديث عليه.

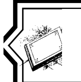
٧ - عزو ما ورد في البحث من أشعار إلى مصادرها، وذلك بتوثيقها من ديوان صاحب الشعر إن كان له ديوان وإلا فمما تيسر من كتب الأدب واللغة.

٨ – عزو نصوص العلماء وآرائهم لكتبهم مباشرة، ولا ألجأ إلى العزو بالوساطة إلا عند تعذر الأصل؛ مع الإشارة لذلك.

٩ - عند عزو النصوص أذكر المؤلَّف ثم المؤلِّف ثم رقم الجزء ثم رقم الصفحة ثم دار النشر ثم سنة الطبع إن وجدت.

١٠ - توثيق نسبة الأقوال إلى المذاهب للكتب المعتمدة فى كل مذهب.

١١ - العناية بضبط الألفاظ التي يرد على عدم ضبطها شيء من الغموض أوعدم الفهم.



١٢ ـ ذكر ترجمة مناسبة لما يرد في البحث من الأعلام غير المشهورة والبلدان؛ قدر ما تيسر.

١٣ـ تضمين خاتمة البحث ما توصل إليه من نتائج، ثم التوصيات.

١٤ – تذييل البحث بقائمة للمصادر مرتبة حسب ترتيب حروف الهجاء، وفهرس للموضوعات.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة المصادر وفهرس الموضوعات.

المقدمة: وفيها (أهمية الموضوع _ أسباب اختياره _ أهداف البحث _ تساؤلاته _ الدراسات السابقة _ منهج البحث وخطوات السير فيه _ خطة البحث).

التمهيد: وفيه التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث.

المبحث الأول: وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأثر الدعوي لحفظ الدين على الفرد والمجتمع.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر.

فهرس الموضوعات.





التمهيد:

قبل الولوج إلى المقصد من البحث وهو بيان الوسائل التي أرشدنا إليها القرآن الكريم لتحقيق حفظ مقاصد الشريعة والأثر المترتب على استخدام هذه الوسائل، لا بد من تحليل المفردات الواردة في عنوان البحث وهي (الوسائل – مقاصد الشريعة – القرآن الكريم – الأثر – المجتمع)، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: تعريف الوسائل.

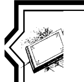
تطلق الوسيلة ويراد بها: المنزلة عند الملك. ويراد بها أيضاً: الدرجة. ويراد بها كذلك: القربة، والوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل، قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٥٧]، والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والوسيلة في الأصل: ما يُتوصل به إلى الشيء [(١)]، (الوسيلة) ما يتقرب به إلى الغير والجمع (الوسيل) و(الوسائل)[(٢)]، قال ابن كثير رحمه الله: والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[(٣)].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ج ١١، ص ٧٢٤ – ٧٢٥، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٢) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، ص ٣٣٨، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ج ٣، ص ١٠٣، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.



ثانياً: تعريف الدين.

أ- مفهوم الدين لغة:

تطلق لفظة الدِّين في اللّغة على معان كثيرة: فقد أطلقت وأريد بها: الْجَزَاءُ والمُكافأَة، ودِنْتُه بفعلِه دَيْناً: جَزَيته، ويومُ الدِّينِ: يومُ الْجَزَاءِ. وَفِي الْمَثَلِ: كَمَا تَدِينُ تُدان، أَي كَمَا تُجازي تُجازَى، أَي تُجازَى بِفِعْلِكَ، وَبِحَسْبِ مَا عَمِلْتَ، وَقِيلَ: كَمَا تَفْعَل يُفعَل بِكَ، كما أطلقت وأريد بها: الحسابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [سورة الفاتحة، الآية رقم: ٤]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَالِكِ يَوْمِ الْجَزَاءِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [سورة التوبة، الآية رقم: ٣٦]، أَي ذَلِكَ الحسابُ الصَّحِيحُ وَالْعَدَدُ الْمُسْتَوِي(١).

وأيضاً من معاني الدين في اللغة: الطَّاعَةُ، قال ابن فارس: الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ. فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ...، فَأَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ٧٦]، فَيُقَالُ: فِي طَاعَتِهِ، وَيُقَالُ فِي حُكْمِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: فِي قَضَاءِ الْمَلِكِ (٢)، وَمِنْهُ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية رقم: ٤]، أَيْ يَوْمِ الْحُكْمِ، وَقَالَ قَوْمٌ: الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ، وَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَهُوَ أَمْرٌ يُنْقَادُ لَهُ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: دِينَ

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ١٦٩ (باختصار).

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، ج ٣، ص ٦٣، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.



الرَّجُلُ يُدَانُ، إِذَا حُمِلَ عَلَيْهِ مَا يَكْرَهُ (١)، والجمعُ الأَدْيانُ. يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا دِيانة، وتَدَيَّنَ بِهِ فَهُوَ دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ. ودَيَّنْتُ الرجلَ تَدْييناً إِذا وَكَلْتَهُ إِلى دِينِه. والدِّين: الإِسلام، وَقَدْ دِنْتُ بِه (٢).

وقال أبو البقاء الحنفي: الدين، بالكسر، في اللغة: العادة مطلقا، وهو أوسع مجالا، يطلق على الحق والباطل أيضا(٣).

وهناك أيضا معان أخرى للدين ذكرها ابن منظور في قوله: والدِّينُ: الْعَادَةُ والشأْن، تَقُولُ الْعَرَبُ: مَا زالَ ذَلِكَ دِيني ودَيْدَني أَي عَادَتِي.. والدِّين: مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الرَّجُلُ، والدِّينُ: السُّلْطَانُ، والدِّين: الوَرَعُ، والدِّين: الْقَهْرُ، والدِّينُ: الْمَعْصِيَةُ، وَالدِّينُ: الطَّاعَةُ (٤).

وبالجملة فهذه المعاني اللغوية للدين تدور كلها في فلك الطاعة والانقياد لله؛ الذي يجازي كلاً بما صنع.

ب - مفهوم الدين اصطلاحاً:

تعدّدت تعاريف العلماء لمعنى الدّين اصطلاحاً، ومما قيل في تعريفه:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ص ٣١٩ – ٣٢٠، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ١٦٩.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، ص ٤٤٣، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ١٦٩ - ١٧٠.



١ – وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

٢ – وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات (٢).

٣ – الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يسمى من حيث الانقياد له دينا، ومن حيث إنه يملي ويبين الناس ملة (٣).

٤ – عبارة عن وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، قلبيا كان أو قالبيا، كالاعتقاد والعلم والصلاة، وقد يتجوز فيه فيطلق على الأصول خاصة، فيكون بمعنى الملة، وعليه قوله تعالى: ﴿دينا قيما ملة إبراهيم﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٦٢]، وقد يتجوز فيه أيضا فيطلق على الفروع خاصة، وعليه ﴿وذلك دين القيمة﴾ [سورة البينة، الآية رقم: ٥]، أي: الملة القيمة يعني فروع هذه الأصول، والدين منسوب إلى الله تعالى، والملة إلى الرسول، والمذهب إلى المجتهد، والملة: اسم ما شرعه الله لعباده على لسان نبيه؛ ليتوصلوا به إلى آجل ثوابه، والدين مثلها، لكن الملة تقال باعتبار الدعاء إليه، والدين باعتبار الطاعة والانقياد له(٤).

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ص ١٠٥، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ص ١٦٩، طبعة: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، ص ٥١٠، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، ص ٤٤٣.



رابعاً: تعريف القرآن الكريم.

القرآن في اللغة مشتق من الفعل "قرأ": وتأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة، الآيتان رقم: ١٧ _ ١٨]، أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر (١).

وفي الاصطلاح عرفه الزرقاني بأنه: الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته (٢)، وعقب صبحي الصالح بقوله: وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية (٣)، لأن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم (٤).

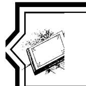
---

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ص ١٧ – ١٨، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٢١، المحقق: فواز أحمد زمرلي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٣) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ٢١، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٢١.



خامساً: **تعريف الأثر**.

يعرف الأثر بأنه: حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة (١)، ويعرف أيضاً بأنه "ما بقي من رسم الشيء مع آثار، والعلامة، والحديث والسنة، والأجل، والنتيجة المترتبة على التصرف، والأحكام فيقولون: أحكام النكاح يريدون آثاره، والعلامة التي يخلفها الشيء" (٢).

سادساً: **تعريف المجتمع**

المجتمع: عدد كبير من الأفراد المستقرّين؛ الذين تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك، وسلطة ترعاها(٣).

ويعد من أبرز موضوعات الدعوة التي تضمنها القرآن الكريم وفصل الحديث عنها حفظ مقاصد الشريعة، ومنها الدين والعقل وإن المتأمل في آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية المطهرة ليستطيع الوقوف على وسائل حفظ الدين والعقل، وسوف أتناول تفصيل هذه الوسائل ثم أعرج على بيان أثرها الدعوي على المجتمع، وذلك على النحو التالي:

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٣٣.
(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، ص ٤٢، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
(٣) الشمائل النبوية وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن علي اليولو الجزولي، منشور على موقع الرابطة المحمدية للعلماء – مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف، بتاريخ: ١-١٢-٢٠١٤ م.



المبحث الأول: وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم.

لقد عني الشرع الشريف بمراعاة مصالح العباد الدينية والدنيوية، وأهم هذه المصالح توضيح الوسائل التي تحقق حفظ الدين؛ الذي هو أول مقصد من مقاصد الشريعة، والمراد بحفظ الدين: "صيانته عن الكفر وانتهاك حرمة المحرمات، ووجوب الواجبات، فانتهاك حرمة المحرمات؛ أن يفعل المحرمات غير مبال بحرمتها، وانتهاك وجوب الواجبات؛ أن يترك الواجبات غير مبال بوجوبها"(١).

وإذا كان حفظ الشريعة للمصالح، الضرورية وغيرها، يتم على وجهين، يكمل أحدهما الآخر، وهما: " حفظها من جانب الوجود، أي بشرع ما يحقق وجودها وتثبيتها، ويرعاه، وحفظها من جانب العدم، أي بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها، أو إفسادها، أو تعطيلها، سواء كان واقعًا أو متوقعًا " (٢)؛ فقد جاءت آيات القرآن الكريم متضمنة وسائل تعمل على محورين رئيسين أولهما: العمل على تثبيت الإيمان بالله تعالى في القلب، وثانيهما: العمل على بقائه وصيانته وحفظه من أن تشوبه شائبة، وسوف أتناول تفصيل ذلك في مطلبين على النحو التالي:

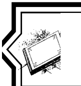
المطلب الأول: وسائل تحقق وجود الإيمان في القلب.

المطلب الثاني: الوسائل التي تحقق حفظ الدين من الخلل.

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الإمام إبراهيم البيجوري، ص ٣٢٢، تحقيق: ، طبعة دار السلام بالقاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٣١ – ٢٠١٠.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص ١٢٦ – ١٢٧، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية ـ ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.



المطلب الأول: **وسائل تحقق وجود الإيمان في القلب**.

تتعد الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم لصيانة الدين بما يحقق وجوده وتثبيته؛ ومنها:

الوسيلة الأولى: **سد منافذ الشرك والوثنية**.

فقد سعى القرآن الكريم إلى سد منافذ الشرك والوثنية من خلال المظاهر الآتية:

المظهر الأول: **تحذير القرآن الكريم من طرائق الشيطان**.

وهي تلك المسالك التى ينفذ من خلالها إلى العبد فيصل به عن طريقها إلى الشرك وعبادة الأوثان، وقد تعرض القرآن الكريم لبيانها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٩٠]، قال البقاعي: وحكمة ترتيبها هكذا أنه لما كانت الخمر غاية في الحمل على إتلاف المال، قرن بها ما يليها في ذلك وهو القمار، ولما كان الميسر مفسدة المال، قرن به مفسدة الدين وهي الأنصاب، ولما كان تعظيم الأنصاب شركاً جلياً إن عبدت، وخفياً إن ذبح عليها دون عبادة، قرن بها نوعاً من الشرك الخفي وهو الاستقسام بالأزلام: ثم أمر باجتناب الكل إشارة وعبارة على أتم وجه فقال: ﴿رجس﴾ أي قذر أهل لأن يبعد عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره سواء كان عيناً أو معنى، وسواء كانت الرجسية في الحس أو المعنى، ووحد الخبر للنص على الخمر والإعلام بأن أخبار الثلاثة حذفت وقدرت، لأنها أهل لأن يقال في كل واحد منها على حدتها كذلك ولا يكفي عنها خبر واحد على سبيل الجمع؛ ثم زاد في التنفير عنها تأكيداً لرجسيتها بقوله: ﴿من عمل الشيطان﴾ أي المحترق البعيد، ثم صرح بما اقتضاه السياق من الاجتناب فقال: ﴿فاجتنبوه﴾ أي تعمدوا أن تكونوا عنه في جانب آخر غير جانبه. وأفرد لما تقدم من الحِكَم، ثم علل بما يفهم



أنه لا فوز بشيء من المطالب مع مباشرتها فقال: ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي تظفرون بجميع مطالبكم وبذلك يشدد النكير على الذين يُسلِمون قيادهم للشيطان ويستجيبون لوساوسه ببيان إخبار القرآن الكريم عن فلاح من يصون دينه عن الوقوع في هذه المزالق ليحذرها [1].

المظهر الثاني: تقرير عقيدة اتصاف الله تعالى بالوحدانية.

وذلك من خلال الآيات الكريمة التي تتضمن نفي الشريك والولد في حقه تعالى ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون، الآية رقم: ٩١]، إذ يُستَدَل بهذه الآية على وحدانية الصانع عز وجل مما يسد منافذ الوثنية، قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور: وبيان انتظام هذا الاستدلال أنه لو كان مع الله ءالهة لاقتضى ذلك أن يكون الآلهة سواء في صفات الإلهية وتلك الصفات كمالات تامة فكان كل إله خالقاً لمخلوقات لثبوت الموجودات الحادثة وهي مخلوقة، فلا جائز أن تتوارد الآلهة على مخلوق واحد لأن ذلك: إما لعجز عن الانفراد بخلق بعض المخلوقات وهذا لا ينافي الإلهية، وإما تحصيل للحاصل وهو محال، فتعين أن ينفرد كل إله بطائفة من المخلوقات، ولنفرض أن تكون مخلوقات كل إله مساوية لمخلوقات غيره بناء على أن الحكمة تقتضي مقداراً معيناً من المخلوقات يعلمها الإله الخالق لها؛ فتعين أن لا تكون للإله الذي لم يخلق طائفة من المخلوقات ربوبيةٌ على ما لم يخلقه وهذا يفضي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ج ٦، ص ٢٤١ – ٢٤٢، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

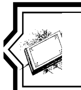


إلى نقص في كل من الآلهة وهو يستلزم المحال لأن الإلهية تقتضي الكمال لا النقص [1].

ثم ينتقل الإمام ابن عاشور إلى بيان دليل آخر من دلائل وحدانيته تعالى فيقول رحمه الله تعالى: ولا جرم أن تلك المخلوقات ستكون بعد خلقها معرضة للزيادة والنقصان، والقوة والضعف؛ بحسب ما يحف بها عن عوارض الوجود التي لا تخلو عنها المخلوقات، كما هو مشاهد في مخلوقات الله تعالى الواحد، ولا مناص عن ذلك، لأن خالق المخلوقات أودع فيها خصائص ملازمة لها؛ كما اقتضته حكمته، فتلك المخلوقات مظاهر لخصائصها لا محالة فلا جرم أن ذلك يقتضي تفوق مخلوقات بعض الآلهة على مخلوقات بعض آخر بعوارض من التصرفات والمقارنات لازمة لذلك، لا جرم يستلزم ذلك كله لازمين باطلين: أولهما: أن يكون كل إله مختصاً بمخلوقاته فلا يتصرف فيها غيره من الآلهة ولا يتصرف هو في مخلوقات غيره، فيقتضي ذلك أن كل إله من الآلهة عاجز عن التصرف في مخلوقات غيره، وهذا يستلزم المحال لأن العجز نقص والنقص ينافي حقيقة الإلهية، وهذا دليل برهاني على الوحدانية لأنه أدى إلى استحالة ضدها. فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لذهب كل إله بما خلق ﴾، وثاني اللازمين: أن تصير مخلوقات بعض الآلهة أوفر أو أقوى من مخلوقات إله آخر بعوارض تقتضي ذلك من آثار الأعمال النفسانية وآثار الأقطار والحوادث كما هو المشاهد في اختلاف أحوال مخلوقات الله تعالى الواحد، فلا جرم أن ذلك يفضي إلى اعتزاز الإله الذي تفوقت مخلوقاته على الإله الذي تنحط مخلوقاته، وهذا يقتضي أن يصير بعض تلك

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ج ١٨، ص ١١٤ – ١١٥، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.



الآلهة أقوى من بعض وهو مناف للمســاواة في الإلهية. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ولعلا بعضهم على بعض ﴾ (١).

كذلك من الآيات التي تقرر عقيدة وحدة الصــانع سـبحانه وتنفي الشـريك في حقه تعالى، قول الله عز وجل: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سـورة الأنبياء، الآية رقم: ٢٢]، حيث تتضـمن الاسـتدلال على اســتحالة وجود شــريك لله تعالى في خلقه الكون وتدبير شــئون خلقه، قال البغوي: ﴿لو كان فيهما﴾ أي في الســماء والأرض، ﴿آلهة إلا الله﴾ أي غير الله ﴿لفسدتا﴾ لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام، ثم نزه نفسـه فقال: ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ أي عما يصفه به المشركون من الشريك والولد(٢).

المظهر الثالث: مطالبة المشركين بالدليل على ما يزعمون.

طالب القرآن الكريم المشــركين بالبرهان على دعواهم بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سـورة النمل، الآية رقم: ٥٩]، قال الإمام النسـفي: ففي هذه الآية أمر الله تعالى رسـوله محمداً صـلى الله عليه وسـلم بتحميده، ثم بالصــلاة على المصـطفين من عباده؛ توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بأن يتبرك بهما ويسـتظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السـلام بأن

---

(١) التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ج ١٨، ص ١١٥ – ١١٦.

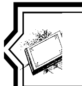
(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، ج ٥، ص ٣١٤، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.



يحمد الله على هلاك كفار قومه، ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)، ولا خير فيما أشركوه أصلاً حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء، وإنما هو إلزام لهم، وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة، فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه، وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير، ولكن هوى وعبثاً لينبهوا على الخطأ المفرط، والجهل المورط، وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد... ثم عدد الله سبحانه الخيرات والمنافع، التي هي آثار رحمته وفضله، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة النمل، الآيات رقم: ٦٠ ــ ٦٤](١).

---

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، ج ٣، ص ٢١٨، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.



المظهر الرابع: ذم عبادة الأوثان.

فقد أوضـــح القرآن الكريم حال هذه الأوثان التي تعبد من دون الله، وذلك في قولـه عز وجـل: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ [ســـورة الفرقان، الآية رقم: ٣]، وبين أن عبدة الأصـنام يتاجرون تجارة خاسـرة مبينا أنه إذا كان معبوده (الصـنم) لا يملك لنفسـه نفعا ولا ضـرا فكيف يملك لغيره؟، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [سورة الحج، الآية رقم: ٧٣]، ويشـهد لذلك ما جاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن خلق كخلقي فليخلقوا بعوضة وليخلقوا ذرة " (١).

ويذكر القرآن الكريم أن هذه الأصـــنام التي يعبدونها من دون الله لا ترقى إلى مرتبـة الكمـال من قول الله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ

(١) أخرجه أحمد، كتاب مسـند المكثرين من الصـحابة، باب مسـند أبي هريرة رضـي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن، ج ٢، ص ٥٢٧، حديث رقم: ١٠٨٣١، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.



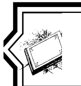
﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف، الآيات رقم: ١٩٤ _ ١٩٨]، وكذا من قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات، الآيات رقم: ٨٣ _ ٩٦]، إذ تتضمن هذه الآيات: "شناعة عبادة الأصنام، وسقوط الأحجار من مراتب الكمالات الإنسانية؛ فكيف بمرتبة الألوهية؟ يسجد لها، ويتوجه إليها"(١).

حيث إنه ثمت فرق بين الخالق والمخلوق يشير إليه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١٧]، قال ابن كثير: قال تعالى منبها على عظمته، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان، التي لا تخلق شيئا بل هم يخلقون؛ ولهذا قال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

ويؤيد ذلك أيضاً قول الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النحل، الآيتان رقم: ٢٠ _ ٢١]، أي: وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة

---

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم (المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ)، ص ٤١، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، الناشر: دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م (بتصرف).
(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج ٤، ص ٥٦٤.



لا تخلق شـــيئا وهي تخلق، فكيف يكون إلها ما كان مصـــنوعا مدبرا، لا تملك لأنفســـها نفعا ولا ضـــرّا، ويقول تعالى ذكره لهؤلاء المشـــركين من قريش: والذين تدعون من دون الله أيها الناس (أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ) وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها، قوله (أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ): وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا(١).

وآيات القرآن الكريم تثبت أن " لا تســـاوي بين الرب والعباد، وأن الرب تعالى مختص باســـتحقاق أقصــــى غاية التعظيم، بخلاف جميع عباده وجميع مخلوقاته " (٢) يتضـح ذلك من قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [ســورة الرعد، الآية رقم: ١٦]، في هذه الآية يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق الســموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لنفسها؛ ولا لعابديها بطريق الأولى (نَفْعًا وَلا ضَـرًّا) أي: لا تحصـل منفعة، ولا تدفع مضـرة، فهل يَسـتَوي من عبد هذه الآلهة مع الله، ومن عبد الله وحده لا شـريك له، وهو على نور من ربه؟ ولهذا قال: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـــ)، ج ١٧، ص ١٨٨، المحقق: أحمد محمد شـاكر، الناشـر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
(٢) الفوز الكبير، ولي الله الدهلوي، ص ٤٠.

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) أي: أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنه لا يشابهه شيء، ولا يماثله، ولا ندّ له، ولا عدْل له، ولا وزير له، ولا ولد، ولا صاحبة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (١).

ويتضح أيضاً من قوله تعالى: - ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية رقم: ١٧]، وكذا من قول الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية رقم: ١٨].

الوسيلة الثانية: تفصيل الحديث عن أصول الإيمان وأركانه.

فقد تناول القرآن الكريم أصول الإيمان واركانه وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك في العديد من المواضع؛ منها: قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٨٥]، وقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ

(١) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٤٦.



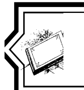
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٣٦].

الوسيلة الثالثة: **بناء الإيمان على الحجج والبراهين**.

لأن بناء الإيمان على الحجة والبرهان مما يثبت الإيمان ويرسخه في القلب ويدعو القرآن الكريم إلى النظر في الآيات البثوثة في الكون وتدبرها؛ للوقوف على حقائق الكتاب المنظور في قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ١٨٥]، وعدم مخالفة الحقائق الكونية لما أُودِع في الكتاب المسطور يزيد القلب اطئناناً، وقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين يهملون عقولهم تقليدا لغيرهم بلا روية ولا نظر ولا برهان في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٧٠]، لخير دليل على سلوك القرآن الكريم طريق بناء الإيمان على الحجة والبرهان لأن الإيمان إذا استقر في القلب ظهرت آثاره على الجوارح بالطاعات.

الوسيلة الرابعة: **تشريع العبادات لتقوية الإيمان وزيادته**.

معلوم أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولذا فقد أمر الحق تعالى بعبادته ونوع العبادة؛ فتارة يأمرنا بعبادة بدنية كالصلاة في قوله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية رقم: ٤٥]، والصيام أمرنا به في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٨٣]، وتارة أخرى يفرض علينا مالية كالزكاة



يحضـــنا على آدائها بقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [ســـورة التوبة، الآية رقم: ١٠٣]، وتارة ثالثة يشـرع لنا عبادة تجمع بين النوعين الســابقين؛ كالحج، وقد فرض بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ســـورة آل عمران، الآية رقم: ٩٧] ويجعل من هذه العبادات عاملا قويا يثبت الإيمان في القلب، ويفيض على الجوارح بالطاعات مستقيمة لله رب العالمين.

الوسيلة الخامسة: تذكير الدعاة بواجبهم في تبليغ دين الله تعالى.

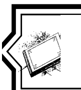
ويتضـــح ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سـورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٤]، وقوله سـبحانه: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ [سورة لقمان، الآية رقم: ١٧]، كما يتضـح أيضاً من بيان المنهج الدعوي الذي ينبغي أن يسير عليه الداعية في دعوته إلى الله تعالى بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[ســـورة النحل، الآية رقم: ١٢٥]، يقول تعالى آمرا رسـوله سـيدنا محمدا – صـلى الله عليه وسلم – أن يدعو الخلق إلى الله (بالحكمة)، قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسـنة [(١)] (والموعظة الحســنة) أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس

(١) ونص قوله رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صــلى الله عليه وســلم (ادْعُ) يا محمد من أرسـلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ) يقول: إلى شـريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسـلام (بِالْحِكْمَةِ) يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك (وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَــنَـةِ) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله، كالتي عدّد عليهم في هذه السـورة من حججه، وذكّرهم فيها =

ذكرهم بها؛ ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله: (وجادلهم بالتي هي أحســـن) أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحســن برفق ولين وحســن خطاب، كما قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [ســـورة العنكبوت، الآية رقم: ٤٦]، فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موســـى وهارون –عليهما الســـلام– حين بعثهما إلى فرعون، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[سورة طه، الآية رقم: ٤٤][(١)].

ما ذكرهم من آلائه (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول: وخاصـــمهم بالخصـــومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رســـالة ربك. (جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج١٧، ص ٣٢١)

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ج ٤، ص ٦١٣.



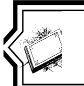
المطلب الثاني: الوسائل التي تحقق حفظ الدين من الخلل.

لقد استخدم القرآن الكريم وسائل متعددة بهدف صيانة الدين من أن يتطرق إليه الخلل، ومن هذه الوسائل ما يلي:

الوسيلة الأولى: حث المسلم على أن يتمسك بدينه.

ومن الوسائل التي أرشد القرآن الكريم المسلم إليها ليحفظ بها دينه: حث المسلم على أن يتمسك بدينه، فيوضح أن التزام المسلم بما يأمره به دينه وانتهاءه عن الذي يزجره وينهاه عنه؛ له أثر بالغ في نفس المسلم ووجدانه؛ ولذا تجد القرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل الصالح في كثير من آياته، فقد ورد في عشرة مواضع من القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٧٧]، وفي أحد عشر موضعاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٨٢]، وفي خمسة مواضع: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [سورة الشعراء، الآية رقم: ٢٢٧]، كما يشهد لذلك أيضاً أمر الله تعالى عباده بالتقوى بعد نداء الإيمان؛ في سبعة مواضع من القرآن الكريم بلفظ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٧٨]، فالمسلم لا يلتفت إلا إلى ما يأمره الله تعالى به في كتابه، وما يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، وهو موقن بأن طاعة غيرهما فيما يخالف أمرهما تفضي به إلى الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

ومن نداءات القرآن الكريم التي يحض فيها على التمسك بالدين بعد نداء الإيمان الذي يهيج حرارة الإيمان في القلب فيقوده إلى امتثال ما يؤمر به قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٢]، والمعنى: كونوا على الإسلام، فإذا ورد عليكم الموت



صادفكم على ذلك، وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام، والمعنى: لا تتركوا الإسلام فإن الموت لا بد منه، فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الإسلام"(١).

والمراد بتقوى الله حق تقاته التي أمر بها المسلم في قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ اتقوا الله﴾ يبينها صاحب صفوة التفاسير بقوله: أي اتقوا الله تقوى حقة أو حق تقواه، قال ابن مسعود: «هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر» والمراد بالآية ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أي كما أن يتقى وذلك باجتناب جميع معاصيه ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ أي تمسكوا بالإسلام وعضوا عليه بالنواجذ حتى يدرككم الموت وأنتم على تلك الحالة فتموتون على الإسلام والمقصود الأمر بالإقامة على الإسلام ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٣]، أي تمسكوا بدين الله وكتابه جميعاً ولا تتفرقوا عنه ولا تختلفوا في الدين كما اختلف من قبلكم من اليهود والنصارى (٢).

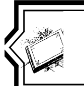
وقد أمر الله تعالى بالتمسك بالدين ووعد المتمسكين به بالنصر والتمكين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [سورة محمد، الآية رقم: ٧]، قال في روح البيان: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ) اى دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على أعدائكم ويفتح لكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ) فى مواطن الحرب ومواقفها او على حجة الإسلام (٣).

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، ج ١، ص ٢٧٧، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ ه.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج ١، ص ٢٠٠، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ج ٨، ص ٥٠١، الناشر: دار الفكر - بيروت.



الوسيلة الثانية: تعظيم حرمات الله تعالى.

يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [سورة الحج، الآية رقم: ٣٠]، أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه، (فهو خير له عند ربه) أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات و [اجتناب] المحظورات، وقوله: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وقرن الشرك بالله بقول الزور، كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[سورة الأعراف، الآية رقم: ٣٣](١).

الوسيلة الثالثة: التحذير من الكبائر.

والكبائر هي: كل عمل توعد عليه القرآن فاعله بالعقوبة في النار (٢)، وقيل: هي الفَعْلَة القبيحة من الذنوب المَنْهِيّ عنها شرعاً العظِيمِ أمْرُها كالقَتْل والزّنا والفِرار من الزّحْف وغير ذلك(٣)، وقد حذر القرآن الكريم من إتيانها، ورغب في اجتنابها بقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ

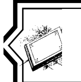
(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ج ٥، ص ٤١٩.
(٢) أسرار القرآن، الإمام محمد ماضي أبو العزائم، ج ٥، ص ١٧، طبعة: دار المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ج ٤، ص ٢٤٤، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.



وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣١] أي: تجهدوا أنفسكم بالقصد الصالح في أن تتركوا تركاً عظيماً وتباعدوا ﴿كبائر ما تنهون عنه﴾ أي من أكل المال والقتل بالباطل والزنى وغير ذلك مما تقدم... ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي التي هي دون الكبائر كلها، فإن ارتكبتم شيئاً من الكبائر وأتيتم بالمكفرات من الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج، أو فرطتم في شي ءمنها فمنَّ الله عليكم بأن أتاكم بالمرض؛ كفر ذلك المأتي به لاصغائر، ولم يقاوم تلك الكبيرة فلم يكفر جميع السيئات، لعدم إتيانه على تلك الكبيرة (وندخلكم مدخلاً كريماً) أي يجمع الشرف والعمل والجود وكل معنى حسن، ومن فاته جميع ذلك لم يكفر عنه سيئاته، ولم يدخله هذا المدخل، ويكفي في انتفائه حصول القصاص في وقت ما(١).

وقد ذكر ابن كثير أن للعلماء وجوها في ضابط الكبيرة: أحدها: أنها المعصية الموجبة للحد، والثاني: أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة... وقال إمام الحرمين في " الإرشاد " وغيره: كل جريمة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة، فهي مبطلة للعدالة، وذكر القاضي أبو سعيد الهروي أن الكبيرة: كل فعل نص الكتاب على تحريمه، وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور، والكذب في الشهادة، والرواية، واليمين (٢).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ج ٢، ص ٢٤٦ – ٢٤٧، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ج ٢، ص ٢٨٥.

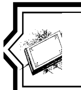


ويؤيد ذلك قول النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ) (١)، حيث إن كل كبيرة من هذه من الكبائر نص القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة وعيدا بالنار، واللعن، والطرد من رحمة الله تعالى، ومما يشهد لذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾[سورة المائدة، من الآية رقم: ٧٢]، محذراً من الشرك، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ وَقَاطِعُ رَحِمٍ وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ) (٢)، إذ ورد الوعيد فيها للتحذير من السحر، وفي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا }، ج ٤، ص ١٠، حديث رقم: ٢٧٦٦، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج ١، ص ٩٢، حديث رقم: ٨٩، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) أخرجه الحاكم، كتاب الأشربة، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ج ٤، ص ١٤٦، حديث رقم: ٧٢٣٣، المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم =



قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[سورة النساء، الآية رقم: ٩٣]، وعيد شديد للزجر عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وما ورد شأن آكلي الربا، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة، الآيتان رقم: ٢٧٨ – ٢٧٩]، مما يدل على شناعة جرمه، وقد توعد الله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامي بغير وجه حق بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾[سورة النساء، الآية رقم: ١٠]، كما توعد سبحانه وتعالى الذين يفرون من ساحة القتال عند لقاء العدو بقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[سورة الأنفال، الآيتان رقم: ١٥ – ١٦]، وأما قذف المحصنات فقد توعد الله قاذف المحصنات أشد الوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة النور، الآية رقم: ٢٣].

كل هذه الأمور قد ورد النهي عنها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك وعيد شديد للزجر عنها صيانة للدين.

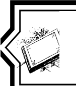
النيسابوري (٤٠٥ هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.



الوسيلة الرابعة: تشريع حد الردة.

إن الشرع الشريف يكفل للإنسان حرية الاعتقاد، فلا يكره أحداً على أن يعتنقه قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٥٦]، كما يكفل لغير المسلمين حرية ممارسة شعائرهم وعباداتهم، وحفظ حقوقهم وصانها، وذلك واضح أمر الله تعالى بالإحسان إلى المسالمين منهم بقوله: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة، الآيتان رقم: ٨ – ٩]، بل إن من أهداف الجهاد الإسلامي تأمين حرية الاعتقاد والتدين، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ ﴾ [سورة الحج، الآية رقم: ٤٠]، وحتى لاتصير الأديان ألعوبة؛ كما هو حال أولئك الذين يشير إليهم الحق سبحانه في قوله: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ٧٢]، ونظرا لما يرمي إليه هؤلاء فإنهم يقصدون: " أن تفسد الناس فيقولون: لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه، إذ ليس من المعقول أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته ويرجع عنه بلا سبب، وليتهم وقف الأمر بهم إلى حد القول، بل هم قد فعلوا ذلك[(١)]، شرعت عقوبة الردة: كي لا يقدم على الدخول في الإسلام إلا من اقتنع بالدلائل والبراهين أنه الدين الحق، فإذا ارتد

(١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ج ٣، ص ١٨٥، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.



بعد ذلك، فقد اتضح أنه لم يدخل الإسلام عن قناعته به وإنما دخله ليشيع القلاقل والشبهات بين أبنائه.

الوسيلة الخامسة: **تشريع الجهاد**.

شرع الله عز وجل الجهاد؛ نشراً لدينه، وتمكينا له، وحماية للدولة الإسلامية ودفاعاً عنها، تحقيقاً لوعده سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[سورة التوبة الآية رقم: ٣٣]، ولما كان الْجِهَاد عملاً شاقاً، يحْتَاج إِلَى تَعب، وبذل مَال ومهجة، وَترك الأوطان والأوطار، ولَا يقدم عَلَيْهِ إِلَّا من أخْلص دينه لله، وآثر الْآخِرَة على الدُّنْيَا، وَصَحَّ اعْتِمَاده على الله، حيث ثبت أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: الرجل يُقَاتل للمغنم وَالرجل يُقَاتل للذّكر، وَالرجل يُقَاتل ليرى مَكَانَهُ، فَمن يُقَاتل فِي سَبِيل الله؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"(١)، ومن أدلة ثبوت فرضية الجهاد(٢)، في القرآن الكريم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج ٤، ص ٢٠، حديث رقم: ٢٨١٠، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ج ٣، ص ١٥١٢، حديث رقم: ١٩٠٤.

(٢) قال المرغيناني: الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به فريق من الناس سقط عن الباقين أما الفرضية فلقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) [التوبة: ٣٦] ولقوله عليه الصلاة والسلام " الجهاد ماض إلى يوم القيامة" وأراد به فرضا باقيا وهو فرض على الكفاية لأنه ما فرض لعينه إذ هو إفساد في نفسه وإنما فرض لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين كصلاة الجنازة ورد السلام " فإن لم يقم به أحد أثم جميع الناس بتركه " لأن الوجوب على الكل ولأن في اشتغال الكل به قطع مادة الجهاد من الكراع والسلاح فيجب على الكفاية " إلا أن يكون النفير عاما " فحينئذ يصير من فروض الأعيان لقوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً) [التوبة: من الآية٤١]
=



قَوْلـه عز وجـل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[سورة التوبة الآية رقم: ٤١]، وقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية رقم: ٢١٦]، وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[سورة الصف، الآيات رقم: ١٠ – ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة، الآية رقم: ١٩٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[سورة النساء، الآية رقم: ٧٥]، ومن السنة قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّال"(١) وَالْمُرَادُ –

الآية (الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: ٥٩٣هـ) ج ٢، ص ٣٧٨، المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت – لبنان).

(١) أخرجه أبو داود، ولفظه: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ "، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الْغَزْوِ مَعَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ، ج ٣، ص ١٨، حديث رقم: ٢٥٣٢، ، سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، طبعة: المكتبة =

وَاللَّهُ تعالى أَعْلَمُ – أَنَّهُ فَرْضٌ بَاقٍ؛ لِأَنَّ الْمُضِيَّ مَعْنَاهُ: النَّفَاذُ، وَالنَّفَاذُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْفَرْضِ مِنَ الأحكَامِ، فَإِنَّ النَّدْبَ وَالإِبَاحَةَ لاَ يَجِبُ فِيهِمَا الاِمْتِثَال وَالنَّفَاذُ، وَقَدْ نُقِل عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ: أَنَّ الْجِهَادَ فَرْضُ كِفَايَةٍ مَعَ الْخَوْفِ، وَنَافِلَةٌ مَعَ الأمْنِ (١).

وقد تضمنت الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الجهاد بيان ما أعد الله تعالى للمجاهدين في سبيله من عطاء؛ منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ " (٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِى سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِى سَبِيلِى وَإِيمَانًا بِى وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِى فَهُوَ عَلَىَّ ضَامِنٌ أن أدخله الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِى خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) (٣)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:

العصرية صيدا – بيروت، قال المناوي: وفي إسناده جهالة (فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ج ٣، ص ٢٩٣، حديث رقم ٣٤٣٤، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦).

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ج ١٦، ص ١٢٩ - ١٣٠، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الأجزاء: ١ - ٢٣ الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، والأجزاء: ٢٤ – ٣٨ الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، والأجزاء: ٣٩ - ٤٥ الطبعة الثانية، طبع الوزارة. الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ج ٩، ص ١٢٥، حديث رقم: ٧٤٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ولفظه: «تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»، ج ٤، ص ٨٥، حديث رقم: ٣١٢٣، وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ والخروج في سبيل الله، ج ٣، ص ١٤٩٥، حديث رقم: ١٨٧٦.



(رِبَاطُ يَوْمٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) (١)، وقد كَانَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا أَمر أَمِيراً على جَيش أَو على سَرِيَّة؛ أوصاه فِي خاصته بتقوى الله، وَمن مَعَه من الْمُسلمين خيراً، ثمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: " اغزوا باسم الله، فِي سَبِيل الله، قَاتلُوا من كفر بِاللَّه اغزوا، وَلَا تغلوا " (٢).

وللجهاد صور متعددة يبينها صاحب روح البيان في قوله: واعلم أن النصرة على وجهين الأول: نصرة العبد وذلك بإيضاح دلائل الدين وإزالة شبهة القاصرين وشرح أحكامه وفرائضه وسننه وحلاله وحرامه والعمل بها ثم بالغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله وقمع أعداء الدين إما حقيقة كمباشرة المحاربة بنفسه وإما حكما بتكثير سواد المجاهدين بالوقوف تحت لوائهم أو بالدعاء لنصرة المسلمين

---

(١) أخرجه البخاري، ولفظه «رِبَاطُ يَوْمٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ج ٤، ص ٣٥، حديث رقم: ٢٨٩٢.

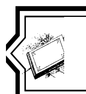
(٢) أخرجه مسلم، ولفظه بتمامه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلاَلٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِى يَجْرِى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِى الْغَنِيمَةِ وَالْفَىْءِ شَىْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ» كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ج ٣، ص ١٣٥٧، حديث رقم: ١٧٣١.



وخذلان الكافرين بان يقول اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين ثم بالجهاد الأكبر بأن يكون عونا لله على النفس حتى يصرعها ويقتلها فلا يبقى من هواها أثر، والثاني: نصرة الله تعالى وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الآيات والمعجزات وتبيين السبل إلى النعيم والجحيم وحضرة الكريم والأمر بالجهاد الأصغر والأكبر والتوفيق للسعى فيهما طلبا لرضاه لانبعا لهواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم فى إعلاء كلمة الله العليا (١).

وبالجملة فإن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة توقف المسلم على الوسائل التي بها يحفظ دينه سواء أكانت تعمل على تثبيته مثل سد منافذ الشرك والوثنية أم تعمل على صيانته من الخلل كالحض على التمسك بالدين، الذي يتسم بشمولية تشريعاته وصلاحيتها لكل زمان ومكان، حيث " اشتمل القرآن الكريم على أصول الشريعة وقواعدها من الحلال والحرام، وجاءت أكثر أحكامه مجملة تشير إلى مقاصد الشريعة، وتضع بيد الأئمة والمجتهدين المصباحَ الذي يستنبطون في ضوئه أحكام جزئيات الحوادث في كل زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة وشمول قواعدها الكلية ومقاصدها العامة لما يحدث في الناس من أقضيات" (٢).

(١) روح البيان، إسماعيل حقي، ج ٨، ص ٥٠١.
(٢) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع خليل القطان، ص ٤٣، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

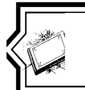


المبحث الثاني: الأثر الدعوي لحفظ الدين على الفرد والمجتمع.

للوســـائل التي اســـتخدمها القرآن الكريم لحفظ الدين أثر كبير على الفرد والمجتمع، فهي تبنى شخصيته على الامتثال للمأمور به، والانتهاء عما نهي عنه، والإحسـان إلى الناس جميعاً، والسـعي في تحصـيل الخيرات؛ إذ إنها من شـأنها أن تعمل على بناء شخصية المسلم؛ ومن ثَمَّ بناء المجتمع، وصيانته من الأفكار التي تقوض أمنه واستقراره، وتوصد هذه الوسائل الباب أمام تفشي الجريمة في المجتمع، وسوف أتناول تفصيل ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الأثر الدعوي لحفظ الدين على الفرد.

المطلب الثاني: الأثر الدعوي لحفظ الدين على المجتمع.



المطلب الأول: الأثر الدعوي لحفظ الدين على الفرد.

إن الوسائل التي أبرزها القرآن الكريم لتمكن المسلم من القيام بحفظ دينه تهدف إلى بناء شخصية المسلم على حفظ الدين وصيانته من أن يتطرق إليه الخلل فهي تجعل المسلم يخلص العبادة لله وحده ويقبل عليه بقلبه، لا يلتفت إلى سواه، ولا يغيب عن خاطره نظر الله إليه، واطلاعه عليه؛ فيجتهد ألا يراه الله حيث نهاه، وألا يفقده حيث أمره، وبناءُ الفرد بناءٌ للمجتمع، قال صلى الله عليه وسلم: (المسلمون كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو تداعى له بقية الجسد بالسهر والحمى) (١)، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[سورة المائدة، من الآية رقم: ٣٢]، وذلك لأن الشخصية المتزنة لها أثر بالغ في حياة الأفراد والجماعات، ولا يتحقق لها تكامل إلا عندما يتوفر لها التوجيه من كل جوانبها، والتربية من كافة أقطارها، والتهذيب من كل أطرافها، والمتأمل لحركة التاريخ، يدرك أهمية بناء وتكوين الشخصية القوية، إذ لا تغيير للواقع الفاسد، المنحرف عن منهج الله تعالى، من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد، وتكوين، وتربية، وهذه لبنات بناء شخصية المسلم في القرآن الكريم:

---

(١) أخرجه مسلم، ولفظه: (عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ٨، ص ٢٠، حديث رقم: ٢٥٨٦.



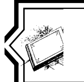
اللبنة الأولى: امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى عنه.

إن المسلم مطالب بالالتزام بما أمره ربه به والانتهاء عما عنه نهى وزجر، يتضح ذلك من قول الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن، من الآية رقم: ١٦]، وما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أُهْلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ، أَوْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ اخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، فَانْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَدَعُوهُ، أَوْ ذَرُوهُ)(١)، ولا يكون ذلك إلا إذا التزم المسلم بالضوابط التي تضبط سلوكه في هذه الحياة مبتغياً رضوان الله تعالى فيما يقوم به لله تعالى، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[سورة الشمس، الآيات رقم: ٧ – ١٠]، قال الإمام النسفي: (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)، فأعلمها طاعتها ومعصيتها أى أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح، (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية، (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أغواها الله، قال عكرمة: أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله، ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية والنقص والإخفاء بالفجور (٢).

---

(١) أخرجه أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ج ٢، ص ٤٥٦، حديث رقم: ٩٨٨٨.

(٢) تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ج ٣، ص ٦٤٨ _ ٦٤٩.



اللبنة الثانية: الإحسان إلى الناس جميعاً مع المسارعة في القيام بما عليه من حقوق وواجبات.

لأن الله تعالى أمر المسلم بحسن المعاملة مع الناس جميعاً، ويظهر ذلك في عموم قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[سورة الإسراء، الآية رقم: ٥٣]، والقول بما هو أحسن: هو القول الطيب؛ المطلوب بجميع أنواعه في معاملته مع جميع الخلق، ومحاورتهم، ونها المسلم عن ذميم الخصال وسوء الفعال بعموم قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة النحل، من الآية رقم: ٩٠]، دعوة عامة للابتعاد عن رذائل الاخلاق، والتمسك بشريفها، لا سيما وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلم بالإحسان إلى الناس جميعاً بقوله: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"(١).

اللبنة الثالثة: السعي في تحصيل الخيرات.

وذلك بالتقلب في بحار الطاعات يقول الإمام أبو العزائم رحمه الله تعالى: وهذا الأصل يجب أن تكون التربية العلمية والعملية وسيلة لتحصيله، يسعى المسلم للقيام بتحصيل أنواع من الخيرات يجذبه إليها الطمع فى نيل ثواب الخالق سبحانه

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب في معاشرة الناس، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ج ٤، ص ٣٥٥، حديث رقم: ١٩٨٧، ١) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، وأخرجه أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، ج ٥، ص ١٥٣، حديث رقم: ٢١٣٩٢.



وتعالى، والفوز بمعونته سبحانه فى الدنيا، ونعيمه ورضوانه ومغفرته فى الآخرة، تلك الخيرات ثلاث:

الأولى: تدبير النفس وتطهيرها من لقسها[(١)]، وإعدادها لأن تقوم بالأعمال الخاصة بها، من تحصيل المعرفة بالله تعالى، وعلم ما يجب له سبحانه، وتحصيل الفضائل التى يكون بها المسلم مسلما يسلم الناس من يده ولسانه، وينتفع الناس به فى دينهم ودنياهم.

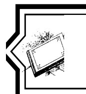
الثانية: العناية بالبدن عناية تحفظ عليه صحته، حتى تكون أعضاؤه سليمة، وأمزجته معتدلة، يمكنه أن يقوم بتنجيز ما تدعوه إليه نفسه الفاضلة من الأعمال النافعة، ولا يكون ذلك إلا بالاعتدال فى الرياضة، والمأكل والمشرب، والملبس والمسكن والأعمال.

الثالثة: العناية بتحصيل ما به نيل الخيرات للدين والآخرة والدنيا من الأموال بطرقها الشرعية الفاضلة، والسلطان بوجوهه التى مدحها الشرع، وحسنها العقل، وكثرة الأصدقاء الذين لا يمكن للمسلم أن يتحصل عليهم إلا بقدر ما ينالونه منه من الخيرات دينا ودنيا، أو دينا فقط، أو دنيا فقط، والأصدقاء فى الله هم خير الأصدقاء، الذين ينفع الله بهم المسلم فى الدنيا والآخرة [(٢)].

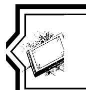
---

(١) لقس: اللَّقِسُ: الشره النفس، الحريص على كل شيء، ولَقِسَت نفسه إلى الشيء: نازعته حرصاً. (العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، ج ٥، ص ٧٨، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال)

(٢) الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله صلى الله عليه سلم، الإمام محمد ماضي أبو العزائم، ص ١٦٤ ـ ١٦٥،، طبعة: دار المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.



وهكذا تجد القرآن الكريم يبني شخصية المسلم حتى يكون لبنة صالحة في بناء مجتمع مســـلم متمســـكٍ بقيم وأخلاق وتعاليم دينه، عاملاً على رقيه وتقدمه، وعلى هذا فإن تكوين شـخصـية المسـلم يقوم على: بناء عقيدته البناء السـليم، ثم بتقويم جوارحه وتهذيبها بحثها على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى عنه، هذا على المســتوي الفردي، أما على المســتوى المجتمعي فعن طريق الأمر بالإحســان إلى الناس جميعاً مع المســارعة في القيام بما عليه من حقوق وواجبات، وللوقوف على هذه الحقوق والواجبات لابد من تحصــيل العلوم، حتى يستطيع السعي في تحصيل الخيرات للفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة.



المطلب الثاني: الأثر الدعوي لحفظ الدين على المجتمع.

لوسائل حفظ الدين التي تضمنها القرآن الكريم أثر كبير في صيانة المجتمع من الانهيار، فهي توجه المسلم إلى الذود عن وطنه بكل ما أوتي من قوة ضد أي معتد من الخارج، أو مخرب من الداخل يعمل على تفكيك وحدة المجتمع المسلم؛ سواء أكان ذلك بالتكفير، أم بالرمي بالابتداع، أم بالطعن في الثوابت، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: الدفاع عن الأوطان ضد المعتدين.

إن بذل المسلم ما في وسعه للتمسك بدينه يقوده إلى الدفاع عن وطنه بكل ما أوتي من قوة؛ فإن حب الوطن من الإيمان، كما أن حب المسلم لدينه يجعله يبذل كل غال ونفيس مجاهداً في سبيل الله؛ يدفع عن وطنه كل غاشم، فيبيع لله الأنفس والأموال التي هي في الأصل منحة من الله تعالى ليظفر بالشهادة في سبيل الله لئلا يصاب الوطن بما يسوء أبناءه، ويذود عن حقائق دينه شبهات كل ملحد آثم، فيبذل وقته في دحض ترهات المبطلين وترهاتهم؛ حتى لا تجد طريقها نحو عقول العامة.

وقدوة المسلم في حبه لوطنه سيد الخلق أجمعين الذي قال وهو يودع مكة: "عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ" (١)، فطمأنه ربه قائلاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[سورة القصص، من الآية رقم: ٨٥]، قال مقاتل: «إنَّه

(١) أخرجه أحمد، كتاب مسند الكوفيين، باب حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهري رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح على وهم في إسناده، ج ٤، ص ٣٠٥، حديث رقم: ١٨٧٣٩.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق نزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل جبريل فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :» نَعَمْ «فقال جبريل إنَّ الله يقول: ﴿إنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآن لَرَآدُّكَ إلى مَعَادٍ﴾» يعني مكة ظاهراً عليهم(١)، الذ جعل حب الوطن من الإيمان، ومن مظاهر حنينه إلى المدينة حين صارت وطناً له صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا (٢).

ثانياً: إيصاد أبواب الجريمة.

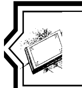
لقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بكف الأذى عن الناس وحسن معاملتهم، وجعله من آكد الواجبات على المسلم، حتى إنه حصر الإسلام الكامل فيه، وحثّ المسلمين عليه، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ، مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» (٣)، لأن الدين المعاملة فالمسلم لا يؤذي أحداً ولو كان كافراً، وهذا ما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، ج ١٥، ص ٣٠١، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

(٢) أخرجه أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، ج ٣، ص ١٥٩، حديث رقم: ١٢٦٤٤.

(٣) أخرجه أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب مسند فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، ج ٦، ص ٢١، حديث رقم: ٢٤٠٠٤.



أفاده التعبير بلفظ: الناس، فلم يقتصر الأمر على عدم أذية المسلم فقط، بل لابد من كف الأذى عن كل الناس، وقد أجمعت كل الأديان السماوية على حفظ حقوق الإنسان وصيانتها، حتى لقد ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» (١).

والمسلم الذي يسير على خطى نبي يأمر بالإحسان إلى الناس جميعاً، ويحذر من الاعتداء على الغير، فقد ثبت عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢)، ويقتدي بالفاروق رضي الله عنه حيث قَالَ: «أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِأَهْلِ الذِّمَّةِ خَيْرًا، أَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ» (٣)، لا يخالف أمره بل يمتثل لما أمر به ويقتدي بالصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

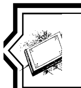
إن المسلم مسئول عن إصلاح مجتمعه، وقد أرشد القرآن الكريم كل فرد في مجتمع إلى العمل على إصلاح هذا المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته

---

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ، ج ٩، ص ١٢، حديث رقم: ٦٩١٤.

(٢) أخرجه أبو داود، كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ، بَابٌ فِي تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ، ج ٣، ص ١٣٦، حديث رقم: ٣٠٥٤.

(٣) معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، كتاب الجزية، باب الْوَصَاةُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ خَيْرًا، ج ١٣، ص ٣٨٣، الأثر رقم: ١٨٥٧٤، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.



ووسعه، ووجهه إلى التعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[سورة المائدة، من الآية رقم: ٢].

وإذا كان المسلم مأموراً بالعمل على إصلاح مجتمعه، فمن البديهي أنَّه مأمور بعدم الإفساد، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ﴾[سورة الأعراف، من الآية رقم: ٥٦]، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على أن كل فرد مسئول عن إصلاح المجتمع، فيقول: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِى نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ، وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (١).

ويؤيد ذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم للمسلم بتغيير المنكر بالوسيلة المتاحة له حيث يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَف الإِيمَان"(٢).

حيث يرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى أن يكون المسلم على أتم استعداد لقبول الإصلاح، وإزالة للفساد؛ متهيئاً لقبول ما يسدى إليه من نصيحة، وهذا المعنى يفهم من عبارة: " فإن لم يستطع فبقلبه " لأنَّ التغيير بالقلب يعني كراهية

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الشركة، بَاب هَلْ يُقْرَعُ فِى الْقِسْمَةِ وَالاسْتِهَامِ فيه، ج ٣، ص ١٣٩، حديث رقم: ٢٤٩٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ج ١، ص ٦٩، حديث رقم: ٤٩.

المنكر، حيث يقول الإمام النووي: "فبقلبه" معناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه"(١)، فالتغيير بالقلب يعني كراهية المنكر، وهو إن لم يكن إزالة وتغييرًا كما يقول الإمام النووي؛ إلّا أنه مقدمة للتغير وتهيؤ له، وإعداد النفس لتغييره فعلًا؛ لأنَّ الإنسان عادة لا يزيل شيئًا يحبه، وإنما يزيل ويغيِّر شيئًا يكرهه، فكراهية الشيء مقدمة لإزالته، وسابقة لتغييره، فجاز إطلاق اسم التغيير على كراهية القلب للمنكر بهذا الاعتبار وكراهية القلب للمنكر يجعل القلب حيًّا عامرًا بالإيمان.

والدلائل على ذلك كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[سورة الأنفال، الآية رقم: ٢٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم؛ فيعمهم العذاب، فمقصود الآية كما قال الإمام القرطبي: واتقوا فتنة تتعدَّى الظالم؛ فتصيب الصالح والطالح (٢)، ومنها: قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[سورة المائدة، من الآية رقم: ١٠٥]، يعني تقرأونها ويفهمها البعض على غير مرادها – وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ج ٢، ص ٢٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٢ه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ج ٧، ص ٣٩١، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

يقول: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ؛ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ"(١).

كل هذه الشواهد والدلائل تؤكد على أنه إذا وقع فساد في مجتمع ولم يقم أحد بمحاولة إزالة الفساد ولو بالنصيحة؛ كان ذلك سبباً للعقاب الجماعي، كما توضح مدى تقصير المسلم في النصيحة حال رؤية أخيه المسلم على غير الجادة.

ثالثاً: سد منافذ التكفير.

حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شدد النكير على من يوجه للمسلم اتهاماً بالكفر قبل قيام الدلائل على كفره، واتضاحها بحيث لا تقبل الشك(٢)، فقال: (لَا يَرْمِي رَجُل رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيه بِالْكُفْرِ إِلَّا اِرْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبه كَذَلِكَ)(٣)، كما أن المسلم ليس مأموراً بالتنقيب عن الذي تضمره القلوب، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، وقال الإمام الترمذي: حديث صحيح، ج ٤، ص ٤٦٧، حديث رقم: ٢١٦٨، وأخرجه أحمد، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج ١، ص ٧، حديث رقم: ٣٠، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) لقد وضع أئمة أهل السنة والجماعة ضوابط الحكم على المسلم بالكفر، والتي إذا تظاهر بفعل أحدها حُكِم بكفره، وهذه الضوابط هي: أنه لا يُكَفَّر مسلم إلا إذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، أو أنكر أمراً مجمعاً على ثبوته، أو استباح فعلاً محرماً، وقد ذكرها الإمام إبراهيم اللقاني رحمه الله في جوهرة التوحيد بقوله:

ومن لمعلوم ضرورة جحد   من ديننا يقتل كفراً ليس حد
ومثل هذا من نفى لمجمع   أو استباح كالزنا فلتسمع.

(جوهرة التوحيد، الإمام اللقاني، ص ٢٨، طبعة دار السلام، الطبعة السادسة، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م).

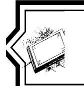
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨، ص ١٥، حديث رقم: ٦٠٤٥.



النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ» (١)، قال الإمام النووي: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ) مَعْنَاهُ إِنِّي أُمِرْتُ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) (٢).

(١) أخرجه البخاري، وتمامه: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «لاَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ» قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، وَأَظُنُّهُ قَالَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ بَعْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، ج ٥، ص ١٦٣ – ١٦٤، حديث رقم: ٤٣٥١، وأخرجه مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، ج ٢، ص ٧٤٢، حديث رقم: ١٠٦٤.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، ج ٧، ص ١٦٣، والحديث أخرجه البخاري، ولفظه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥]، ج ١، ص ١٤، حديث رقم: ٢٥، وأخرجه مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، ج ١، ص ٥٣، حديث رقم: ٢٢.



ومعلوم أن الجرأة في الحكم على المسلم بالكفر دون جريرة واضحة بينة(١)، يكون معنى التألّي على الله تعالى واضحاً، وقد ثبت عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاَللَّه لَا يَغْفِر اللَّه لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِر لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْت لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْت عَمَلك)(٢)، قال النووي: مَعْنَى (يَتَأَلَّى) يَحْلِف، وَالْأَلْيَة الْيَمِين، وَفِيهِ دَلَالَة لِمَذْهَبِ أَهْل السُّنَّة فِي غُفْرَان الذُّنُوب بِلَا تَوْبَة؛ إِذَا شَاءَ اللَّه غُفْرَانهَا، وَاحْتَجَّتْ الْمُعْتَزِلَة بِهِ فِي إِحْبَاط الْأَعْمَال بِالْمَعَاصِي الْكَبَائِر، وَمَذْهَب أَهْل السُّنَّة أَنَّهَا لَا يُحْبَط إِلَّا بِالْكُفْرِ، وَيُتَأَوَّل حُبُوط عَمَل هَذَا عَلَى أَنَّهُ أُسْقِطَتْ حَسَنَاته فِي مُقَابَلَة سَيِّئَاته، وَسُمِّيَ إِحْبَاطًا مَجَازًا، وَيَحْتَمِل أَنَّهُ جَرَى مِنْهُ أَمْر آخَر أَوْجَبَ الْكُفْر، وَيَحْتَمِل أَنَّ هَذَا كَانَ فِي شَرْع مَنْ قَبْلنَا، وَكَانَ هَذَا حُكْمهمْ (٣).

إن حفظ المسلم لدينه وقيامه بالحقوق الواجبة عليه تجاه إخوانه يشيع في المجتمع الأمن والوئام والطمأنية والسلام وينشر روح التآخي بين أبناء المجتمع الواحد، ويغلق نوافذ العنف والتفريط والبذاءة والفحش ويجعل المسلم يكف أذاه عن جميع المخلوقات فضلاً عن إحسانه إليهم ورفقه بهم مما يصحح الصورة المغلوطة

---

(١) قال الشيخ أحمد الصاوي: إن كل من جحد حكماً عُلِم من الدين بالضرورة؛ بمعنى أنه اشترك في معرفته الخاص والعام فهو كافر، كجحد وجوب الصلاة أو شيء من أركانها المجمع عليها كالسجود، وحرمة الزنا والخمر ونحوهما. (شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، ص ٤٢٣، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، بيروت، الطبعة: الثامنة، سنة: ١٤٣٢ ه - ٢٠١١م).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، ج ٤، ص ٢٠٢٣، حديث رقم: ٢٦٢١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، ج ١٦، ص ١٧٤



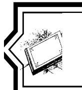
عن الإسلام وتعاليمة تلك الصورة التي وصلت للغرب يشوبها غبش التطرف والتعصب الممقوت والإرهاب الذي يتبرأ منه الدين الحق.

رابعاً: إلجام الطاعنين فى نقلة الدين.

إن من الأفكار الهدامة التي تقوض صلة المسلم بدينه الذي ينبغي أن يتمسك به تلك الشبهات الباطلة التي تثار حول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كالتي يثيرها بعض طوائف الشيعة (١) ونظرائهم في زماننا، وتتضمن التهجم على مقام الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، الذين هم نقلة الدين وحماته، والطعن فيهم ضربة للدين في مقتل؛ بهدف إحداث فجوة بين المسلم وبين السنة النبوية المطهرة عن طريق التشكيك في نقلتها، وبث الشبهات حولهم للتقليل من مكانتهم، مما يوجب على المسلم أن يذب عنهم أي نقيصة تؤدي إلى سقوط عدالتهم.

---

(١) الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبرؤ قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف: مقالة ومذهب وخبط، وهم خمس فرق: كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه. (الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ص ١٢١، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦).



لقد تحدث القرآن الكريم عن المكانة العلية والمنزلة الرفيعة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٠٠]، كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (خَيْرُ أُمَّتِى قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)(١).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إيذاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأي نوع من الإيذاء في أحاديث كثيرة منها: ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِى فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّى أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِى أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِى وَمَنْ آذَانِى فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ) (٢)، وذلك لأنهم بذلوا المهج والأوطان والأموال في سبيل نصرة هذا الدين ابتغاء وجه الله تعالى، وطمعاً في نيل رضوانه.

لذا فإن من الواجب على المسلم أن يعرف للصحابة الكرام حقهم، وألا يكتفي بالإعراض عما المتطاولون عليهم من قدح في مكانتهم، وتطاول بالألسنة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه و سلم - وهم من صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ج ٥، ص ٢، حديث رقم: ٣٦٥٠، وأخرجه مسلم بلفظ: (خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ج ٤، ص ١٩٦٢، حديث رقم: ٢٥٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، ج ٥، ص ٦٩٦، حديث رقم: ٣٨٦٢، وأخرجه أحمد، كتاب مسند الكوفيين، باب: حديث عبد الله من مغفل المزني رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ج ٥، ص ٥٤، حديث رقم: ٢٠٥٦٨.

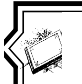


والأقلام على مقامهم، ولا يتوقف لحظة عن رد ما يقدح في مقام واسطة نقل الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بعدهم، وأن يسلم بعدالتهم جميعاً، لأنهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، ثبتت عدالتهم رضوان الله عنهم أجمعين بتعديل الله لهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٠]، والخطاب فيها للموجودين حينئذ (١)، وكذلك ثبتت عدالتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بقوله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ أُمَّتِى قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) (٢).

ويؤيد ذلك قول الإمام النووي رحمه الله: الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم، بإجماع من يعتد به (٣)، والسَّبب في عدم الفحص عن عدالتهم، أنَّهم حملةُ الشَّريعة، فلو ثبت توقف في روايتهم، لانحصرت الشَّريعة على عصره صلى الله عليه وسلم، ولما استرسلت على سائر الأعصار (٤).

---

(١) تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي، الإمام السيوطي، ج ٢، ص ٦٧٤، طبعة: دار طيبة.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه و سلم - وهم من صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ج ٥، ص ٢، حديث رقم: ٣٦٥٠، وأخرجه مسلم بلفظ: (خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ج ٤، ص ١٩٦٢، حديث رقم: ٢٥٣٣.
(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، الإمام السيوطي، ج ٢، ص ٦٧٤.
(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

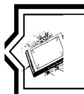


فالمسلم الحق الذي إلى صيانة دينه من تطرق الخلل إليه يلجم الطاعنين في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما يدمغ ترهاتهم، يدافع عن نقلة الدين وحماته بكل ما أوتي من جهد وقوة، لأن حسن الظن بهم وتوقيرهم من توقيره صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول القاضي عياض رحمه الله: وَمِن تَوَقِيرِه وَبِرّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم تَوْقِير أَصْحَابِه وَبِرُّهُم وَمَعْرِفَة حَقّهِم وَالاقْتِدَاء بِهِم وَحُسْن الثَّنَاء عَلَيْهِم وَالاسْتِغْفَار لَهُم وَالْإِمْسَاك عَمَّا شَجَر بَيْنَهُم وَمُعَادَاة من عَادَاهُم وَالإضْرَاب عَن أَخْبَار المُؤَرّخِين وَجَهَلَة الرُّوَاة وَضُلَّال الشّيعَة وَالمُبْتَدِعِين القَادِحَة فِي أحِد مِنْهُم وَأن يُلْتَمَس لَهُم فِيمَا نُقِل عَنْهُم من مِثْل ذَلِك فِيمَا كَان بَيْنَهُم مِن الفِتَن أحْسَن التَّأْويلات وَيُخَرَّج لَهُم أصْوَب المَخَارِج إذ هُم أَهْل ذَلِك وَلَا يُذْكَر أحد مِنْهُم بِسُوء وَلَا يُغْمَص عَلَيْه أمْر، بل تذكر حَسَنَاتُهُم وَفَضَائِلُهُم وَحَمِيد سِيرَهِم وَيُسْكَت عَمَّا وَرَاء ذَلِك (١)، فيسكت المسلم عمّا شجر بينهم، ويعمل على نشر محاسنهم وفضائلهم لتأتلف القلوب بذلك، وعدم الخوض فيهم أو تجريحهم، امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ) (٢)، فإنه يدل على حرمة سب الصحابة كلهم، إذ هم خير الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وما بذلوه في الدفاع عن الدين لا يخفى على أحد، وإن المطالع لتاريخ أصحاب رسول الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو تصور ما تحمله رضي الله عنهم من فادح الشدائد، وما بذلوه لله سبحانه

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج ٢، ص ٥٢ ـ ٥٣، طبعة: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا خليلا)، ج ٥، ص ٨، حديث رقم: ٣٦٧٣، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، ج ٤، ص ١٩٦٧، حديث رقم: ٢٥٤٠.



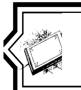
وتعالى حتى أخبر أنه سبحانه يحبهم ويحبونه وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[سورة المائدة، من الآية رقم: ٥٤]، وأخبر سبحانه أنه ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٠]، ووزن نفسه بهذا الميزان؛ لعرف لهم حقهم.

وذلك أبلغ رد على المتطاولين على مقامهم رضي الله عنهم، مما يلجمهم عن الحط من مكانة واسطة النقل بين النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين.

خامساً: تبديد أوهام الزاعمين الاكتفاء بالقرآن الكريم عن السنة.

لما لم يستطع أعداء الإسلام أن يواجهوا الإسلام ويكيدوا له بمواجهة القرآن الكريم طفرة واحدة راحوا يشككون في السنة أولاً؛ ليقولوا: القرآن معصوم وغيره ليس معصوماً فنكتفي به عن السنة، وهم من أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ " (١)، وهذه خطوة أولى في محاربة الإسلام، يليها الخطوة التالية؛ التشكيك في القرآن نفسه، وحينما يزعم البعض الاكتفاء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية المطهرة نجد أن القرآن الكريم الذي يزعمون التمسك به يدحض فريتهم ويبدد أوهامهم فيذكر أن

(١) أخرجه أحمد، كتاب مسند الشاميين، باب حديث المقدام بن معد يكرب الكندي أبي كريمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤، ص ١٣٠، حديث رقم: ١٧٢١٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عروف الجرشي فمن رجال أبي داود والنسائي وهو ثقة.



المؤمن الحق المتمسك بدينه لا يقدم على فعل إلا إذا تحقق أنه لا يخالف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٍ جَامِعٍ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ﴾[سورة النور، من الآية رقم: ٦٢]، ويقرأ قول الله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[سورة الحشر، الآية رقم: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[سورة النساء، الآية رقم: ٦٥]، فيقول سمعاً وطاعة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ الذي لا ينطق عن الهوى.

ومما يدحض مزاعمهم قَوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا أَلفَيْنِ أحدكُم؛ مُتكئاً على أريكته، يَأْتِيهِ الْأَمر من أَمْرِي مِمَّا أمرت بِهِ أَو نهيت عَنهُ، فَيَقُول: لَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَاهُ فِي كتاب الله اتبعناه"(١)، وقول رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٥، ص ٣٧، حديث رقم: ٢٦٦٣، وأخرجه الحاكم، كتاب العلم، وقال الذهبي على شرطهما وتركاه، ج ١، ص ١٩٠، حديث رقم: ٣٦٨.



اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)(١).

والمراد: الأمر بالتمسك بسنته صلى الله عليه وسلم؛ إذ إن في الإعراض الأخذ بها مخالفة صريحة للأمر الوارد في القرآن الكريم بالعمل بها وقبول ما جاءت به من تشريعات، فالحديث حجة شرعية كالقرآن.

ويشهد لذلك ما جاء في قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي؛ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ (٢)، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ (٣)، فإنه يقوم دليلاً على أن ترك الأخذ بالسنة من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف عن الجادة، واتباع الهوى.

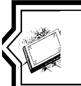
---

(١) أخرجه أحمد، كتاب مسند الشاميين، باب: حديث المقدام بن معد يكرب الكندي أبي كريمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، ج ٤، ص ١٣٢، حديث رقم: ١٧٢٣٣.

(٢) الحواري: أي الخالص المنقى من كل عيب. (لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٢١٧)، وقيل: الحَوَارِيُّ الناصر. (مختار الصحاح، الرازي، ج ١، ص ١٦٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، ج ١، ص ٦٩، حديث رقم: ٥٠.

والخَرْدَلُ: نبات معروف الواحدة خَرْدَلَةٌ (مختار الصحاح، الرازي، ج ١، ص ١٩٦)، الخردل: نبات عشبي حريف – بكسر الحاء وتشديد الراء المكسورة – من الفصيلة الصليبية ينبت في الحقول وعلى حواشي الطرق تستعمل بذوره في الطب وله بذور يتبل بها الطعام. (المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، حرف الخاء، مادة خردل، ص ١٩٠، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).



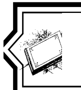
كما يشهد لمكانة السنة قول الإمام مالك [(١)] رضي الله عنه فيما ذكره عبد الله بن وهب المصري حيث قَالَ: "كُنَّا عِنْد مَالك بن أنس نتذاكر السّنة، فَقَالَ مَالك: السّنة سفينة نوح من ركبهَا نجا وَمن تخلف عَنْهَا غرق" [(٢)].

ومن أوضح الدلائل على وجوب الأخذ بالسنة تفصيلها لما جاء مجملاً في القرآن الكريم ووضحته السنة كتفصيل أوقات الصلاة وكيفيتها وأنصبة الزكاة ومقاديرها ومناسك الحج، كل ذلك بينه النبي صلى الله عليه وسلم وأخذه عنه أصحابه، وتلقاه عنهم التابعون، وبلغوه من بعدهم حتى وصل إلينا، فقد ذكر عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنهُ الشَّفَاعَة فَقَالَ رجل من الْقَوْم: يَا أَبَا نجيد إِنَّكُم تحدثونا بِأَحَادِيث لم نجد لَهَا أصلا فِي الْقُرْآن، فَغَضب عمرَان وَقَالَ للرجل: قَرَأت الْقُرْآن؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فَهَل وجدت فِيهِ صَلَاة الْعشَاء أَرْبعا وَوجدت الْمغرب ثَلَاثًا والغداة رَكْعَتَيْنِ وَالظّهْر أَرْبعا وَالْعصر أَرْبعا؟ قَالَ: لَا: قَالَ. فَعَن من أَخَذْتُم ذَلِك، ألستم عَنَّا أخذتموه وأخذناه عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم؟ أوجدتم فِيهِ من كل أَرْبَعِينَ

---

(١) مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ) (٧١٢ - ٧٩٥ م) هو مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، المدني (أبو عبد الله) أحد أئمة المذاهب المتبعة في العالم الإسلامي، واليه تنسب المالكية، ولد بالمدينة وكان بعيدا عن الأمراء والملوك، فوجه إليه هارون الرشيد ليأتيه فيحدثه، فقال العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله، واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه، وتوفي بالمدينة في ١٤ ربيع الأول، وفي رواية في صفر، ودفن بالبقيع، من تصانيفه: الموطأ، رسالته إلى الرشيد. (معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، ج ٨، ص ١٦٨،، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت).

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ص ٧٦، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.



شَاة شَاة وَفِي كل كَذَا بَعِيرٍ كَذَا وفى كل كَذَا درهمٍ كَذَا. قَالَ: لَا. قَالَ فَعَن من أَخَذْتُم ذَلِك؟ أَلستم عَنَّا أخذتموه وأخذناه عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم؟ وَقَالَ: أوجدتم فِي الْقُرْآن: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾[سورة الحج، من الآية رقم: ٢٩]، أوجدتم فِيهِ فطوفوا سبعاً، واركعوا رَكْعَتَيْنِ خلف الْمقَام، أَو وجدْتُم فِي الْقُرْآن: لاَ جَلَبَ، وَلاَ جَنَبَ، وَلَا شِغَار فِي الْإِسْلَام؟ أما سَمِعْتُمْ الله قَالَ فِي كِتَابه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[سورة الحشر، من الآية رقم: ٧]، قَالَ عمرَان: فقد أَخذنَا عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَشْيَاء لَيْسَ لكم بهَا علم(١).

فالمسلم يتمسك بسنة خير الورى قلى الله عليه وسلم ويدافع عنها ليحقق صحة محبته للنبي صلى الله عليه وسلم باقتفاء أثره والسير على نهجه، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وكيف لا؟ وقد قامت كل هذه الشواهد والدلائل مؤكدةً على أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، والعمل بها اقتداءٌ بمن جاء بالدين من رب العالمين، ومبرهنةً على مكانة السنة النبوية ومنزلتها من القرآن الكريم، وأنها مقيدة لمطلقه وموضحة لمبهمه، ومخصصة لعامّه، ومبينةً أن ما تجرأ به المدعون من دعوي الاكتفاء بالقرآن الكريم دون السنة النبوية دعوى جوفاء لا برهان عليها ولا دليل.

سادساً: عدم التسرع في الرمي بالابتداع.

لقد ظهر في زماننا قوم يرون أن كل أمر لم يكن له دليل يجيزه من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية صراحة فهو بدعة (٢) ضلالة وهم مخطئون

---

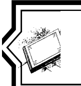
(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، جلال الدين السيوطي، ص ١٠.
(٢) الْبِدْعَة: فعل الشَّيْء لَا عَن مِثَال مُتَقَدم وَتَكون فِي الْخَيْر وَغَيره (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي
=

في ذلك فإن جمعاً غفيراً من العلماء يقسمون البدعة إلى حسنة وسيئة، ومستندهم في ذلك ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء) [(١)]، ويتضح ذلك من خلال شرحهم لهذا الحديث؛ ومنهم على سبيل المثال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي حيث يقول: وَقَوله: " من سنّ فِي الْإِسْلَام سنة حَسَنَة " أَي فعل فعلا جميلا فاقتدي بِهِ وَكَذَلِكَ إِذا فعل فعلا قبيحا

الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، ص ٤٧، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة ـ القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: البِدعة بكسر الباء في الشرع: هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ج ٣، ص ٢٢، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية).

(١) أخرجه مسلم، وتمامه: (عن الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ، أَوِ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: " { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ { اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ } تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ". قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء)، كِتَاب الزَّكَاةُ، بَاب الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، ج ٣، ص٨٦، حديث رقم: ١٠١٧.



فاقتدي بِهِ فليجتهد الْإِنْسَان فِي فعل خير يلْحقهُ ثَوَابه بعد مَوته، وليحذر من فعل شَرّ يُدْرِكهُ إثمه بعد تلفه (١).

ومنهم أيضاً الإمام النووي إذ يقول: فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ وَسَنِّ السُّنَنَ الْحَسَنَاتِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَتَتَابَعَ النَّاسُ وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ (٢).

وفي موضع آخر يقول رحمه الله تعالى: وهي منقسمة إلى: حسنة وقبيحة... وروى البيهقي بإسناده في "مناقب الشافعي" عن الشافعي رضي الله عنه قال: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أُحدث مما يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعة الضلالة، والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من العلماء، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت ليس فيها رد لما مضى (٣). يعني أنها لم تكن تصلى في جماعة طوال الشهر.

ومنهم كذلك الإمام ابن الأثير حيث يصرح بأن البدعة بدعتان حسنة وسيئة فيقول: الْبِدْعَةُ بِدْعَتَان: بِدْعَةُ هُدًى، وَبِدْعَةُ ضَلَالٍ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ج ١، ص ٤٣٤، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ج ٧، ص ١٠٤.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، الإمام النووي، ج ٣، ص ٢٢ - ٢٣.



أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ورسوله صلى الله عليه وسلم فَهُوَ فِي حَيِّزِ الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ، وَمَا كَانَ وَاقِعًا تَحْتَ عُموم مَا نَدب اللَّهُ إِلَيْهِ وحَضَّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كنَوْع مِنَ الجُود وَالسَّخَاءِ وفعْل الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَرِدَ الشَّرْعُ بِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعل لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا فَقَالَ: «مَنْ سَنّ سُنة حسَنة كَانَ لَهُ أجْرها وأجرُ مَنْ عَمِل بِهَا» وَقَالَ فِي ضِدّه «وَمَنْ سَنَّ سُنة سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِل بِهَا» وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

ولعل المنكرين وجود بدعة حسنة يريدون صيانة الشرع من دخول ما ليس منه؛ لكنهم أخطئوا في تعميم الحكم على كل محدث، فإن من أحدث أمراً منكراً يحمل إصره وإصر من اقتدى به، قال ابن حجر: وَوَجْهُ التَّحْذِيرِ – في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء) (٢) – أَنَّ الَّذِي يُحْدِثُ الْبِدْعَةَ قَدْ يَتَهَاوَنُ بِهَا لِخِفَّةِ أَمْرِهَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَلَا يَشْعُرُ بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ وَهُوَ أَنْ يَلْحَقَهُ إِثْمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدَهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُوَ عَمِلَ بِهَا بل لكَونه كَانَ الأَصْل فِي أحداثها (٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج ١، ص ١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم، كِتَاب الزَّكَاةُ، بَاب الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ، ج ٣، ص٨٦، حديث رقم: ١٠١٧.

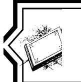
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج ١٣، ص ٣٠٢، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة: ١٣٧٩.



ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[سورة النحل، الآية رقم: ٢٥]، قال البغوي: لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ، ذُنُوبَ أَنْفُسِهِمْ، كامِلَةً، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْكَمَالَ لِأَنَّ الْبَلَايَا الَّتِي تَلْحَقُهُمْ فِي الدُّنْيا، وما يفعلون فيها مِنَ الْحَسَنَاتِ لَا تُكَفِّرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، بِغَيْرِ حُجَّةٍ؛ فَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ، ما يحملون(١)، أما من أحدث أمرا حسناً فله أجره وأجر من عمل به(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ج ٣، ص ٧٦.

(٢) ومن العلماء من أجرى على الأمر المبتدع الأحكام التكليفية الخمسة فأيهم اندرج تحت قواعده أخذ حكمه، وهذا ما نص عليه الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه إذ يقول: الْبِدْعَةُ فِعْلُ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إلَى: بِدْعَةٌ وَاجِبَةٌ، وَبِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَبِدْعَةٌ مَنْدُوبَةٌ، وَبِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ، وَبِدْعَةٌ مُبَاحَةٌ، وَالطَّرِيقُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ أَنْ تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ: فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِيجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَنْدُوبِ فَهِيَ مَنْدُوبَةٌ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ وَلِلْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثِلَةٌ، أَحَدُهَا: الِاشْتِغَالُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأَتَّى حِفْظُهَا إلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، الْمِثَالُ الثَّانِي: حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ اللُّغَةِ، الْمِثَالُ الثَّالِثُ: تَدْوِينُ أُصُولِ الْفِقْهِ، = = الْمِثَالُ الرَّابِعُ: الْكَلَامُ فِي الْجُرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْ السَّقِيمِ، وَقَدْ دَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ فَرْضُ كِفَايَةٍ فِيمَا زَادَ عَلَى الْقَدْرِ الْمُتَعَيَّنِ، وَلَا يَتَأَتَّى حِفْظُ الشَّرِيعَةِ إلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَلِلْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ أَمْثِلَةٌ. مِنْهَا: مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ، وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ، وَلِلْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ أَمْثِلَةٌ. مِنْهَا: إحْدَاثُ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ الْقَنَاطِرِ، وَمِنْهَا كُلُّ إحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ، وَمِنْهَا: صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصَوُّفِ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْجَدَلِ فِي جَمْعِ الْمَحَافِلِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَسَائِلِ إذَا قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلِلْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ أَمْثِلَةٌ. مِنْهَا: زَخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ، وَمِنْهَا تَزْوِيقُ الْمَصَاحِفِ، وَأَمَّا تَلْحِينُ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ تَتَغَيَّرُ أَلْفَاظُهُ عَنْ =



وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء) (١).

فالمسلم لابد أن يكون سيره في الدنيا وفق المنهج النبوي مجتنباً البدع المضلة، ممتثلاً قول الإمام اللقاني رحمه الله:

وكن كما كان خيار الخلق ... حليف حلم تابعاً للحق

فكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

وكل هدي للنبي قد رجح ... فما أبيح افعل ودع ما لم يبح

فتابع الصالح ممن سلفا ... وجانب البدعة ممن خلفا (٢).

قال الشيخ أحمد الصاوي: أي كل شر في البدع التي أحدثها المتأخرون – ومراده البدع المذمومة المضلة، لأنه يقول بعد كلام: أي احذر من البدع المذمومة التي أحدثها المتأخرون كالطبل والزمر (٣).

الْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ، فَالْأَصَحُّ أَنَّهُ مِنْ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ، وَلِلْبِدَعِ الْمُبَاحَةِ أَمْثِلَةٌ. مِنْهَا: الْمُصَافَحَةُ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَمِنْهَا التَّوَسُّعُ فِي اللَّذِيذِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ، وَلُبْسِ الطَّيَالِسَةِ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ. وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، فَيَجْعَلُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ، وَيَجْعَلُهُ آخَرُونَ مِنْ السُّنَنِ الْمَفْعُولَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَا بَعْدَهُ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْبَسْمَلَةِ. (قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، ج ٢، ص ٢٠٤ _ ٢٠٥، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م).

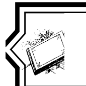
(١) أخرجه مسلم، كِتَاب الزَّكَاةُ، بَاب الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، ج ٣، ص٨٦، حديث رقم: ١٠١٧.

(٢) جوهرة التوحيد، الإمام اللقاني، ص ٣٠ – ٣١.

(٣) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، ص ٤٣٧ – ٤٣٨

وبوقوف المسلم على وسائل حفظ الدين التى تضمنها القرآن يتفاعل مع قضايا مجتمعه بقدم راسخة وبصيرة نافذة ونظر ثاقب فينبذ التكفير ويسد منافذ تكفير المسلم، ويعلي قيمة الاتباع مع عدم إقصاء المحدثات برمتها، وإنما يعرضها على قواعد الشرع وأحكامه؛ فإن اندرجت تحت أصل فبها ونعمت، وإلا نظر إلى جانبي المصلحة والمفسدة؛ فأيهماترجح غلب حكمه، وإن استوى طرفا المفسدة والمصلحة كانت على الإباحة.

وبالجملة فإن المسلم حين يتبع المنهج القرآنى وما تضمنه من وسائل لحفظ الدين وصيانته فإنه يتخلق بأخلاق الإسلام ويعلي قيمه السمحة؛ ليكون سلوكه دعوة عملية لغير المسلم إلى الدخول في الإسلام، ويكون قائما بمسئوليته التي نيطت به نحو مجتمعه يدافع عن وطنه ويوصد أبواب الجريمة كي لا تستشري في المجتمع، كما يقوم بتفنيد شبهات المنكرين للسنة وتبديد أوهام الذين يريدون حصر الدين في العهد النبوي بطعنهم الصحابة الكرام الذين نقلوا لنا الدين، ويتعرض لما يثار حول الدين وأحكامه من مزاعم وافتراءات بما يدحضها، حيث إن تبديد الشبهات التي تثار حول أحكام الدين وشريعته من أهم العوامل التي تؤدي إلى الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامية.



الخاتمة:

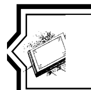
أولاً: أهم النتائج:

بعد أن من الله تعالى عليَّ بإتمام بحثي عن وسائل حفظ الدين في ضوء القرآن الكريم؛ وأثرها على الفرد والمجتمع، توصلت إلى النتائج التالية:

١- إن القرآن الكريم كلام ربنا ينير طريقنا، ويبصرنا بالوسائل التي تعيننا على صيانة الدين من الخلل بعد التحقق بالإيمان، وتدفع المسلم نحو كف جوارحه عن إيذاء نفسه أو إيذاء غيره، وتضع من العقوبات ما يزجر المسلم عن العدوان على النسل، أو الأنساب، أو العقول، أو الأعراض، كما تصون المال من الإتلاف أو التبديد.

٢- القرآن الكريم حين يعلمنا هذه الوسائل إنما يبني شخصية المسلم على حب الطاعات، والتمسك بالدين، وحب الخير لكل الناس، وحب الوطن والدفاع عنه بكل غال ونفيس، وبذل المال ومن قبله الروح دفاعا عن ثراه، والوقوف بالمرصاد لكل من يثير من الفكر المنحرف ما به يقوض أواصر البر والمودة بين أبناء المجتمع، أو يحدث فجوة بين المسلم، ومنهله العذب، ومورده الروي (الكتاب والسنة)، أو يشتت به شمل أبناء الأمة؛ فيكون معول هدم يخدم أهداف أعدائه دون أن يشعر.

٣- إن القرآن الكريم حين يقرر من وسائل حفظ الدين ما به يوصد أبواب الجريمة إنما يرشد المسلم إلى العمل على رقي مجتمعه، والنهوض به، ودفعه نحو التقدم، ولا سبيل إلى نيل المرام إلا بإعلاء قيم الإسلام السمحة، وتشريعاته الصالحة لكل زمان ومكان.



ثانيا التوصيات:

١ - يوصـي الباحث بأن يعمد كل مسـلم إلى أبنائه فيعلمهم القرآن الكريم ويوقفهم من خلال آياته على وسـائل حفظ الدين والتمسك به ليكونوا لبنة صـالحة في بناء مجتمع نقي من مخاطر الفحش والجريمة.

٢ - كما يوصـي الباحث أن تعقد المؤتمرات والندوات والدورات من المؤسـسـات المتخصـصـة لتعريف الناس بوسـائل حفظ الدين ليقفوا على مدى سـماحة الإسـلام ويسـر تشـريعاته وصـلاحيتها لقيادة الدنيا في شـتى البقاع وفي كل عصر ومصر.

٣ - وأيضـاً يوصـي الباحث بأن يتصدى الدعاة والعلماء لمواجهة الفتن ودحضـها في مهدها لئلا تكدر أذهان العامة وفي ذلك صـيانة لعقولهم من أن يتلقفها أصحاب الأفكار الهدامة وللحيلولة دون أن يصبحوا معاول هدم لمجتمعاتهم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

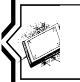


مصادر البحث.

أولاً: القرآن الكريم؛ جل من أنزله.

ثانياً: قائمة المراجع.

١. أسـرار القرآن، الإمام محمد ماضـي أبو العزائم، طبعة: دار المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
٢. الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله صلى الله عليه سلم، الإمام محمد ماضي أبو العزائم، طبعة: دار المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.
٣. البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، الناشر: دار الفكر المعاصر–بيروت–لبنان–دار الفكر–دمشق–سورية، الطبعة: الأولى – جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ– أيلول سبتمبر ٢٠٠٠م.
٤. تاريخ التشريع الإسلامي، مناع خليل القطان، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٦. تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الإمام إبراهيم البيجوري، طبعة دار السلام بالقاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٣١ – ٢٠١٠.
٧. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، الإمام السيوطي، طبعة: دار طيبة.
٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.



١٠. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١١. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.

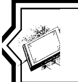
١٢. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٣. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

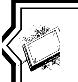
١٤. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

١٥. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، طبعة: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.



١٧. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٩. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٢٠. جوهرة التوحيد، الإمام اللقاني، طبعة دار السلام، الطبعة السادسة، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩.
٢١. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٢٢. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، طبعة: المكتبة العصرية صيدا – بيروت.
٢٣. شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، بيروت، الطبعة: الثامنة، سنة: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.
٢٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، طبعة: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.
٢٥. الشمائل النبوية وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن علي اليولو الجزولي، منشور على موقع الرابطة المحمدية للعلماء – مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف، بتاريخ: ١-١٢-٢٠١٤ م.
٢٦. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.



٢٧. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة: ١٣٧٩.

٢٩. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

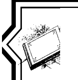
٣٠. الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم (المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ)، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، الناشر: دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٣١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٥٦هـ.

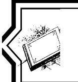
٣٢. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩١ م.

٣٣. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

٣٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.



٣٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٣٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
٣٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٣٨. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.
٣٩. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٠. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤١. المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.
٤٢. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٤٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة.



٤٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٦. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

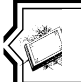
٤٨. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٩. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٥٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٥١. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٥٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.



٥٣. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق –بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق)، دار الوفاء (المنصورة – القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٥٤. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٥٥. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، طبعة: دار سحنون للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الثانية، سنة: ٢٠٠٧ م).

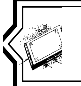
٥٦. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦.

٥٧. مناهج البحث العلمي، محمد سرحان علي المحمودي، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤٤١ هـ _ ٢٠١٩ م.

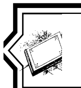
٥٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المحقق: فواز أحمد زمرلي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٥٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٢هـ.

٦٠. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الأجزاء: ١ – ٢٣ الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، والأجزاء: ٢٤ – ٣٨ الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، والأجزاء: ٣٩ – ٤٥ الطبعة الثانية، طبع الوزارة. الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ).



٦١. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
٦٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
٦٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
٦٥. الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: ٥٩٣هـ)، المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان).



فهرس محتويات البحث

